الأعمال المعدنية الإسلامية

تأليف
راشيل وارد

ترجمة
ليديا البريدي



هذا الكتاب

لقد انتجت العديد من الأواني المعدنية الفاخرة والأدوات خلال عهد الدولة الإسلامية وذلك إمّا لتأمين احتياجات قصر السلطان أو لاستعمالات البيوت في ذلك العهد.

وعلى الرغم من أن هدف هذه الصناعات لم يكن دينياً بالدرجة الأولى، إلا أن تصاميمها والزخارف السطحية تعكس تأثير الإسلام الكبير عليها، امتداداً من اسبانيا وشمال إفريقيا في الغرب إلى أواسط آسيا والهند في الشرق. وقد أبدع الصناع مهارات رائعة في أدوات منزلية جميلة، وكذلك داخل المساجد والأضرحة. يتبع هذا الكتاب شرح نوعية المواد وتقنيتها والأشكال الزخرفية والأساليب المحلية المتنوعة للأعمال المعدنية الإسلامية، ابتداءً من القرن السابع وانتهاءً بالقرن الخامس عشر، مدعمة بصور أخذت من المتحف البريطاني ومجموعات كبرى أخرى.

والمؤلفة راشيل وارد تعمل كقيّمة على قسم الأعمال الشرقية في المتحف البريطاني.

يضم الكتاب ٣٩ صورة ملونة و ٦٠ صورة بالأسود والأبيض.





الأعمال المعدنية الإسلامية

تـأليـف

راشــل وارد

تــرجمة

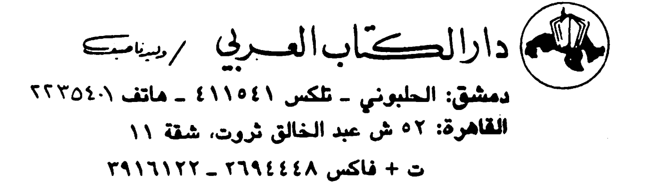
ليــديا البريــدي



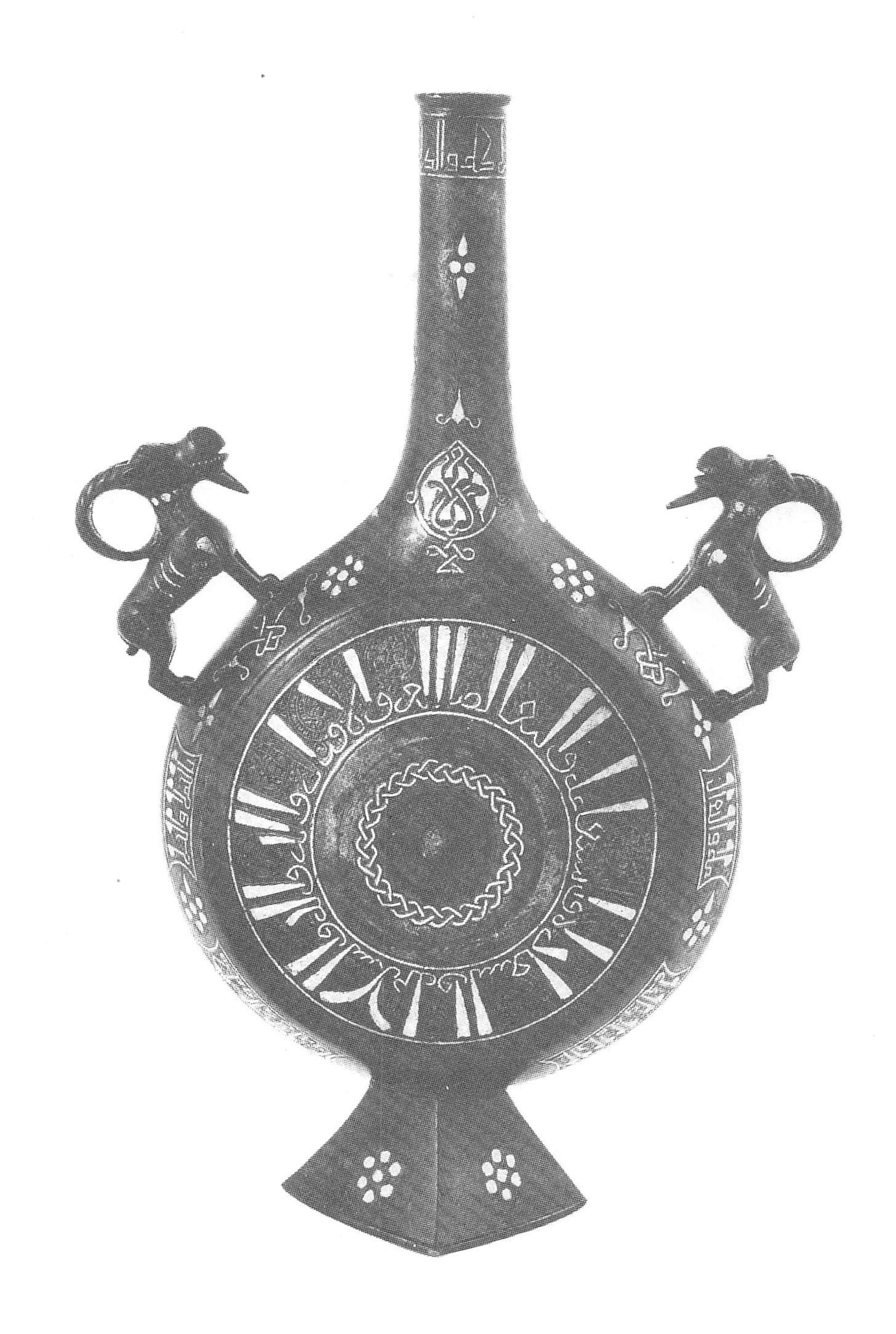


الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م



دمشق: الحلبوني ـ تلكس ٤١١٥٤١ ـ هاتف ٢٢٣٣٥٤٠١
القاهرة: ٥٢ ش عبد الخالق ثروت، شقة ١١
ت + فاكس ٢٦٩٤٤٤٨ ـ ٣٩١٦١٢٢



ـ المقدمة ـ

انتشرت الصّناعات المعدنيّة الإسلامية عبر العديد من الدُّول ولأكثر من ثلاثة عشر قرناً. وكتاب بهذا الحجم لا يمكنه تغطية كل مظهر من مظاهر هذا المجال الغني والمتنوع.

على الرغم من تغطيته لمساحة جغرافية ضيقة، فقد اخترت التركيز على الفترة الأولى من بداية الإسلام في القرن السابع وانتهاءً بالقرن الخامس عشر.

وهذا لا يعتبر تقييماً حاسماً لأن هناك أمثلة رائعة من الصناعات المعدنية الإسلامية انتجت بعد القرن الخامس عشر.

إن معظم الأمثلة المبيَّنة هنا محفوظةٌ حالياً في المتحف البريطاني، وتعد في العالم من أرقى مجموعات الأعمال المعدنية الإسلامية للعصور الوسطى.

إن معظم الأعمال المعدنية المطعمة بما فيها واحد وعشرون عملاً من مجموعة دوق بلاكاس بيعت في باريس عام ١٨٦٦ قد صنعت في الفترة ما بين ١٨٦٦ و ١٨٩٦، وبناءً على وصية سير أوغسطوس دولستون فرانكس (١٨٢٦ ـ ١٨٩٧) فقد منح المتحف بعض الأشياء مما شجع العديد من جامعي الأعمال المعدنية في أوروبا لمنح بعضاً آخر للمتحف البريطاني.

استمرت المجموعة في التزايد خلال هذا القرن. وأشهر المتبرعين السيد ب.ت.بروك سيويل. (توفي ١٩٥٨)، وهو مصرفي وتاجر اهتمَّ بالتُّحف الشّرقية.

وقد استطاع تغطية العديد من الفجوات في مجموعة المتحف، إن معظم الاعمال المعدنيّة غير المطعمة والتي تعود إلى القرون الإسلامية الأولى قد حُفظت في المتحف بفضل كرمه.

إلا أنه بقي هناك فجوات لا بدّ منها؛ فالعديد من القطع الهامة، وتعد أساسية لتقديم موضوعنا، موجودة في مجموعة أخرى وقد قمت بإعداد قائمة وضعتها في آخر الكتاب لأولئك الذين سمحوا لي بتصوير بعض القطع من مجموعاتهم، أفراداً كانوا أم مؤسسات.

وأود أن أشكر شخصياً كيليد فون فولساش. اناتول ايفانوف، مارليا مانغو انطوني نورث، برنارد أوكان وياني بيتسبولوس. لمساعدتي في الحصول على بعض الصور الفوتوغرافية وأود أيضاً أن أشكر أدموندد وأونغز لسماحه لي بتصوير مجموعته ولضيافته الكريمة لي طوال مدة زيارتي.

والكتاب الذي من نوع كتابي هذا لابد من أعمال الآخرين فقد جمعت المعلومات من العديد من المصادر. أما في حالة الترجمة أو الأشعار فقد أشرت إليها. كما أود أن أشير إلى أنه هناك العديد من الإصدارات والمحاضرات غير المطبوعة والاتصالات الشخصية والأحاديث التي استفدت منها والتي لا يمكن أن أوجه شكري إليها. وعلى الرّغم من ذلك أودُّ أن أقدّم شكري إلى جايمس ألان الذي كان أول من شجعني وأثار اهتمامي نحو الأعمال المعدنية الإسلامية وكذلك إلى كلٍّ من عمل وسهر على هذا الكتاب.

ـ ١ ـ

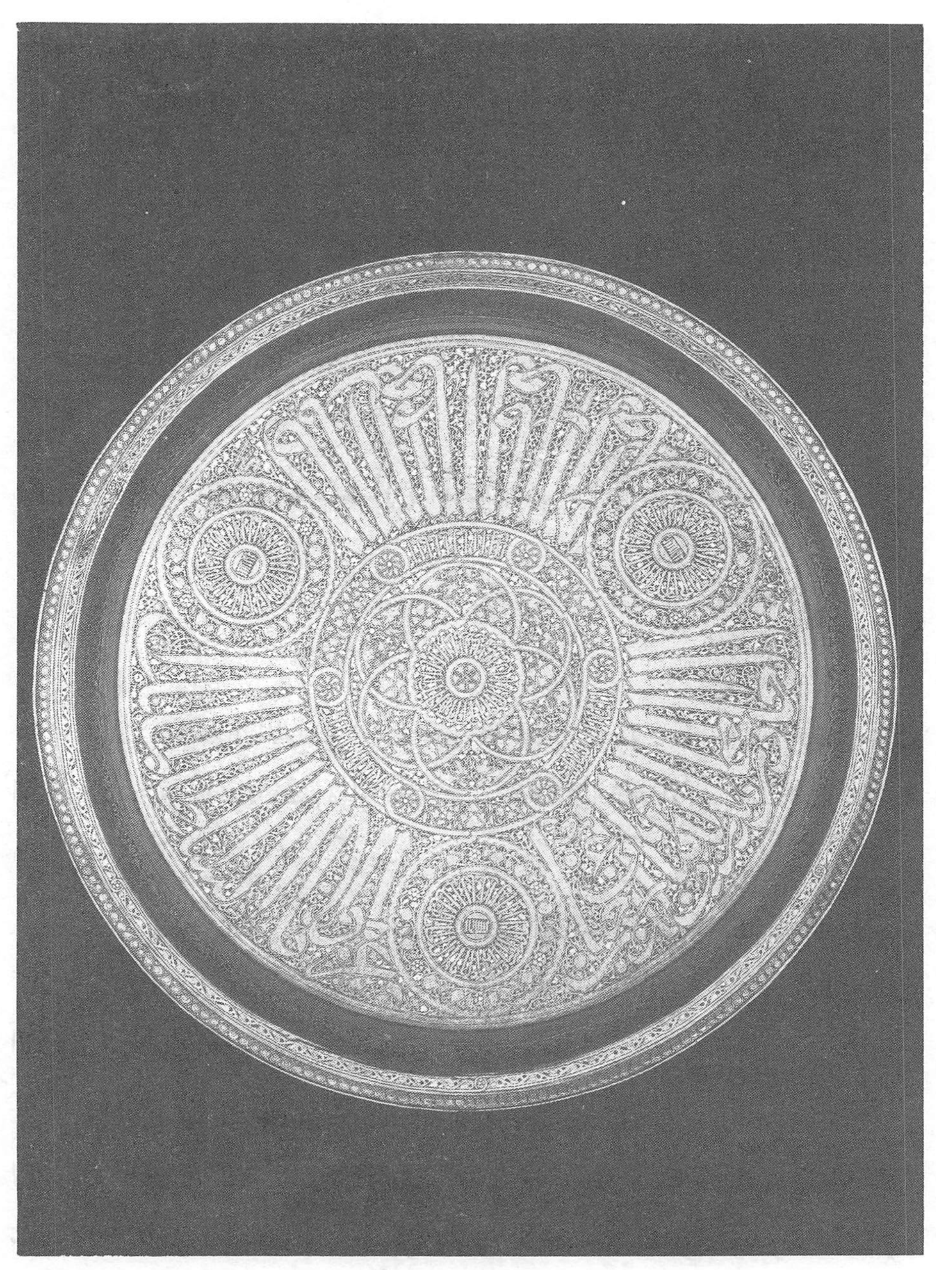
ما هي الأعمال المعدنية الإسلامية؟

تشمل الأعمال المعدنية الإسلامية، الأعمال التّابعة للدّول التي كانت تحت الحكم الإسلامي لفترة قصيرة أو دائمة منذ ٦٢٢م السنة الأولى للفترة الإسلامية «انظر إلى الخريطة في آخر الكتاب».

ففي بعض الدّول والمدن وضمن تلك المساحة الواسعة للدولة الإسلامية، كانت هناك أعمال معدنيّة تقليديّة مميّزة، إلاّ أن الدين الإسلامي أثر على تطور تلك الأعمال معطياً إياها هوية حضارية تبرز مضامينها.

في هذا الكتاب، وعلى كلّ حال فإن عبارة (الإسلامية) هنا بمعناها الشامل، لأن هذا الكتاب ليس حول الأعمال المعدنيّة لديانة معينة فمعظم القطع التي ستناقش أُريد لها الاستعمال الدنيوي وليس الاستعمال الديني. وبدون شك فإن بعض المهرة الذين صاغوا تلك الأعمال وتصاميمها ليسوا مسلمون بالضرورة.

تتضمن أغلب الأعمال المعدنية الإسلامية، الأواني والأدوات والمجوهرات والأسلحة. والأدوات والأجهزة الطبية ولكل نوع من هذه القطع تقليدها المستقل - ونوعيتها المختلفة حسب الصانعين وورش العمل والتقنيات والزبائن.



شكل (١)

صينية من صفيح النحاس المطعم بالفضة والذهب. اسم ولقب السلطان المملوكي شاه بان الأول (١٣٤٥ ـ ١٣٤٦) منقوش بوضوح حول الصينية وفي داخل كل دائرة من الدوائر الداخلية. فقدت الصينية معظم المعدن المطعم الآن ولكن التصميم بقي واضحاً. خطوط الحروف اللامعة تمثل اشعة الشمس ويَذّكر زوار القصر بمجد السلطان.

القطر: ٩٦ سم القاهرة او دمشق (١٣٤٥ ـ ١٣٤٦)

يعالج هذا الكتاب أول هذه النوعيات وهي الأواني الاستعمالية الفاخرة التي وجدت في المنازل الإسلامية وهي تضم أدوات الإضاءة مثل المصابيح وقواعد المصابيح والفوانيس الشمعدانات الكبيرة والصغيرة والأثاث: مثل الصّواني الكبيرة، وقوائم الصّواني (صورة رقم ١) وكانت تعد كطاولة متحركة إلى جميع أنحاء البيت، إضافة إلى طاولات وأدوات مطبخية مثل الزبادي (سلطانية) والأكواب والصحون والأباريق والجرار والمراجل والطناجر الهاوون (مهراس) والمغارف (كفكير) والأباريق والأجران (طشت) الخاصة بالوضوء والجردل (سطل) للصابون السائل لاستعماله في الحمام وناثرة (مرش) ماء الزهر والمباخر لتعطير البيت والأشخاص.

لهذه الأدوات المنزليّة الأساسيّة منزلةٌ خاصّةٌ في الحضارة الإسلامية، بسبب غياب نوعين من الأعمال المعدنيّة والتي أخذت المرتبة الأولى في حضارات أخرى، وهي الأعمال النحتيّة الخاصة بالأشكال الآدمية الأواني التي كانت تستعمل للطّقوس، فمن المستحيل تصور الأعمال المعدنيّة الأوروبيّة على سبيل المثال بدون صور لديفيد دوناتللو أو أعمال فنية لها رموز طقسية، أو دراسة العمل المعدني الهندي بدون أشكال تمثل بوذا، أو آلهة مثل شيفا وفيسنو وأجراس أو أواني طقسية أخرى.

لقد حرّمه الإسلام فالشكل النحتي، وهي تتمثل بالأيقونة في المسيحية والتماثيل الأخرى. في البوذية والأديان الأخرى. وهدف الإسلام لتحريمها. كما قال اللّه تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسَرُ والأَنْصَابُ والأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وفي الحديث الشريف، أنه يوم القيامة سيطالب الرّسام والنّحّات بيث الروح في هذه الأشكال والتماثيل التي قاموا بها وسيعاقبون العقاب الأبدي[2]. إلا أنه

---

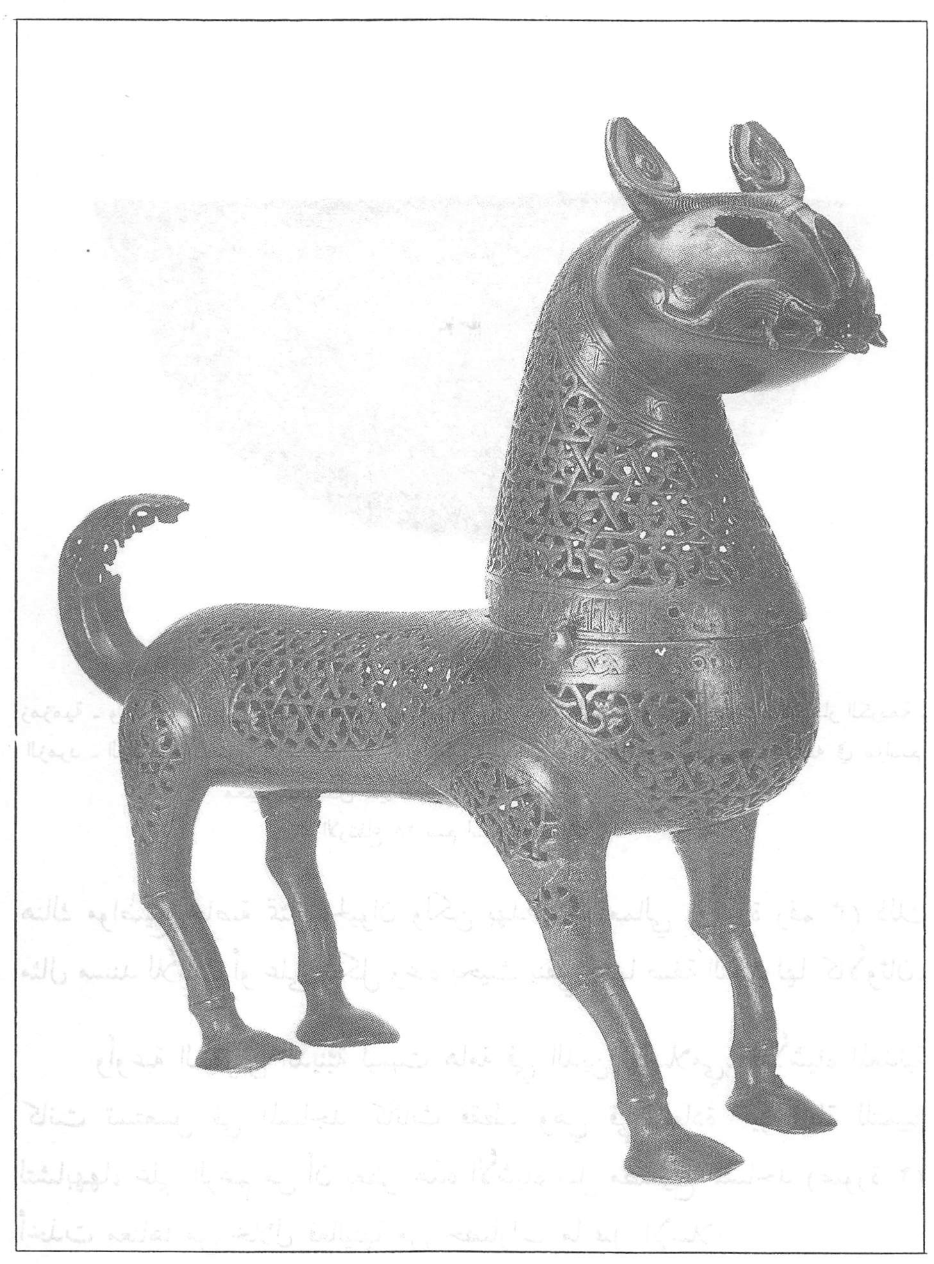
(١) سورة المائدة، الآية: (٩٠). ﴿**الأنصاب**﴾: حجارة حول الكعبة يعظمونها. ﴿**الأزلام**﴾: قداح الاستسقام في الجاهلية. ﴿**رجسٌ**﴾: خبيث، قذر، نجس.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه: (٢٢٢٥)، باب: بيع التصاوير التي ليس فيها روح، وما يكره من ذلك: قال رسول الله ﷺ: **«من صوَّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبداً»**.



الشكل (٢)

مصباح مسجد من النحاس المثقب، النقوش حول الاطار تُقرا... بسم الله... ويمكن ان يوضع المصباح من الداخل. تلك المصابيح كانت تعلق في المساجد وكانت تهدف إلى ذكر الآية القرآنية الكريمة.
«بسم الله الرحمن الرحيم. سورة النور ـ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح.»
(انظر الشكل ٢٨) (بدون سلاسل) الارتفاع ٢٦ سم. ايران القرن العاشر.



شكل (٣)

مبخرة على شكل اسد واقف، وهو شكل مصنوع من النحاس المثقب والمطعم بالفضة والنحاس الخام، يزاح الراس لوضع البخور والفحم داخله والجدران المثقبة للشكل تسمح للدخان ذو الرائحة الذكية الخروج: اسم صاحبه علي بن محمد التاجي ومنقوش بالخط الكوفي ومطعم بالفضة على الصدر. اما النقوش الأخرى فتحتوي على التبريك.

الارتفاع ٤٥ سم ـ خراسان ـ القرن الحادي عشر

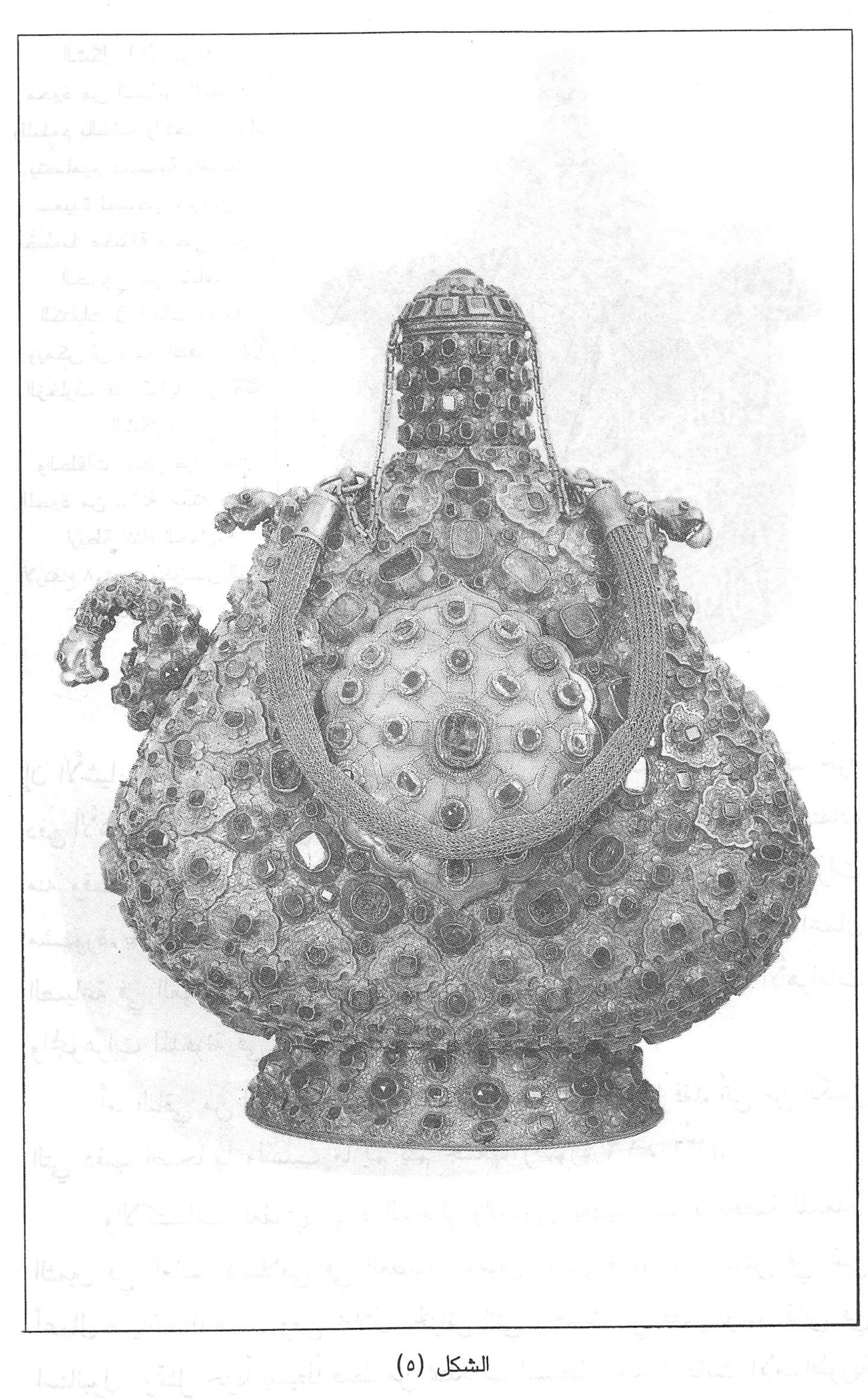


الشكل (٤)
زمزمية ـ وعاء مؤلف من صفائح ذهبية صنعت وفق تصاميم مزخرفة بارزة ثبتت بالأحجار الكريمة ـ الزمرد ـ الياقوت. تحتوي الزمزمية على ماء الشرب للسلطان، ويحملها خادم يقف خلفه في مراسم معينة. الشكل غير العادي يعود الى الزمزميات الجلدية.
الارتفاع ٢٨ سم اسطنبول ١٥٦٠ م.

هناك مواضيع خاصة تمثل الحيوان ولكن بهدف استعمالي (صورة رقم ٣) ذلك مثال مسند للأثاث أو على شكل وعاء بحيث ينفي عنها صفة التعبّد لها كالأوثان.

وأوعية الطّقوس الدّينيّة ليست هامة في الدين الإسلامي. فالأشياء المعدنية كانت تستعمل في المساجد كأثاث فقط، وهي في العادة غير قابلة للتمييز لتشابهها، على الرغم من أن بعض هذه الأشياء مثل مصابيح المساجد (صورة ٢) أخذت معناها من خلال فعاليتها من حضارات ما قبل الإسلام.

تعطينا الأشياء المعروضة في المتاحف الانطباع أن الأعمال المعدنيّة الإسلامية تتألف في الغالب وبشكل كامل من الأوعية النحاسية المزخرفة زخرفة جيدة. أما المصادر الأدمية فهي ستعود على الأوعية الذهبية والفضية. أما الأثاث والمجوهرات والمنمنمات المرسومة عن المشاهد الملكية فهي تحتوي على الكثير منها (صورة ٧-٨)



الشكل (٥)



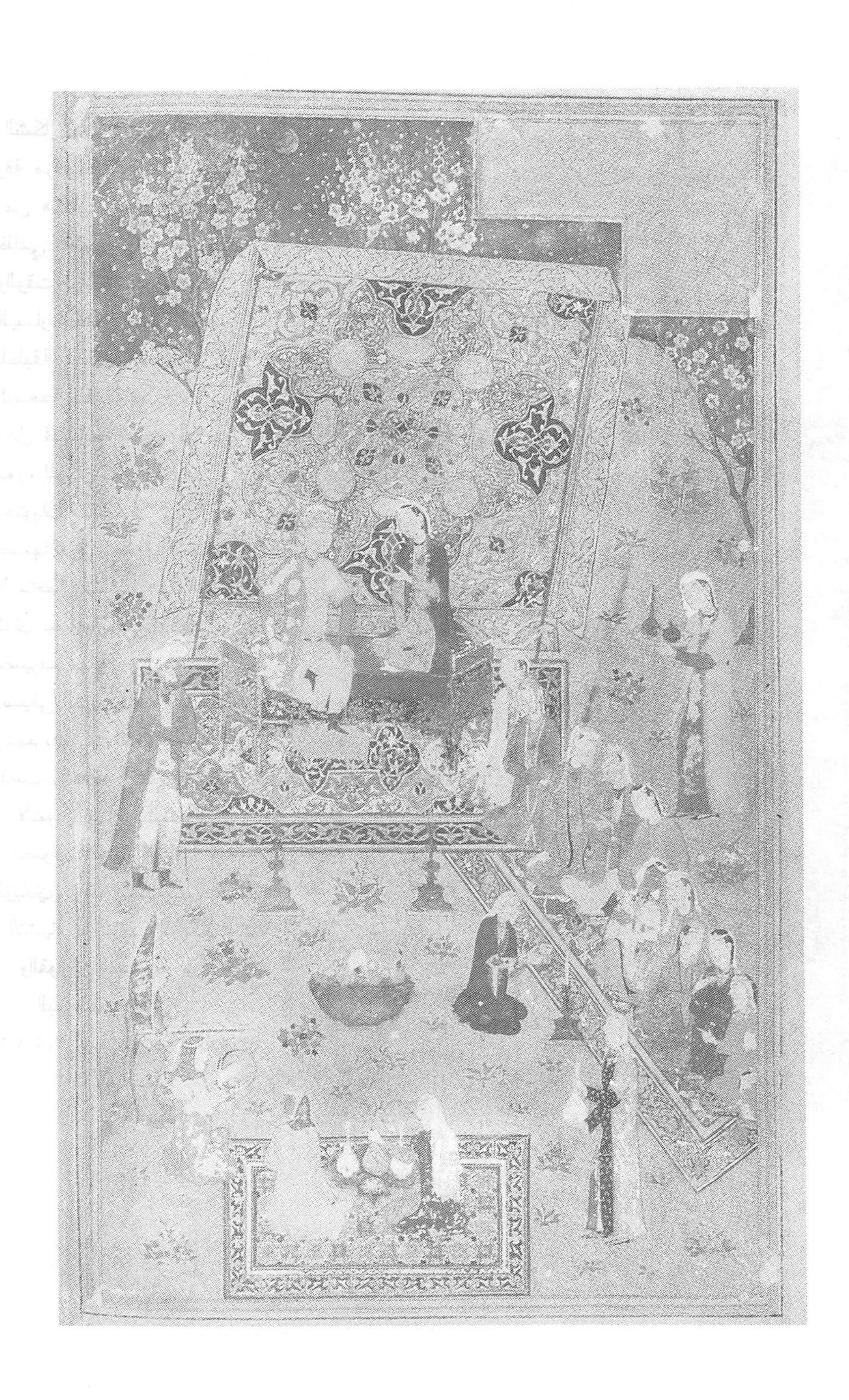
الشكل (٦) ص١٥
محبرة من النحاس المسبوك والمطعم بالفضة والنحاس الخام بتصاميم هندسية وامنيات سعيدة لصاحب مجهول.
خطوط مختلفة تغطي الجزء الخارجي من الاناء.
الكتابات في الغالب دينية ويمكن ان تفسر افتقارها الى الزخارف التشكيلية على هذا الشكل.
والحلقات تمكن من حمل المحبرة من ثلاثة امكنة بثلاثة اربطة اثناء الحمل.
الارتفاع ٩,٨ سم خراسان القرن الثاني عشر

إن الأشياء الإسلامية الذّهبيّة والفضّية فلم تبقَ إلى عصرنا هذا لأن الدِّين قد حرَّم دفن الأشياء الثمينة مع الموتى. وفوق الأرض تمت إذابة ذلك المعدن الغالي للاستفادة منه وقت الحاجة أو أعيد تشكيله وتحويله إلى تصاميم أكثر حداثة. فالحضارات مشهورة بأعمال صياغها، وكان سيكون لدينا القليل من المعلومات عن أعمال الصياغة في العهد الفرعوني المصري على سبيل المثال، لولا محفوظات الأهرامات والمجوهرات المدفونة في القبور الملكيّة الفرعونيّة.

أما الباقي من الذّهب والفضّة الإسلامية حتى يومنا هذا فقد أتى من الكنوز التي دفنها أصحابها ولسبب ما لم يتم جمعها (صورة ١٦ - ٣٦).

والاكتشاف العفوي لهذه الذخائر (الكنوز) يعطينا صورة ناقصة للمعدن الثمين في العالم الإسلامي في العصور الوسطى (صورة ٣٨)، ويتمثل في غنى أعمال صياغة الذهب. ومن خلال الخزائن التي وجدت في قصر توب كابي في استانبول. وتمثل جزءاً بسيطاً فقط من ممتلكات السلطان عندما كانت الإمبراطورية

الشكل (٨ـ٧) ص (١٦ـ١٧)
ورقة مزدوجة من صدر نسخة من «كتاب خمسة» تأليف نظامي تظهر وليمة في حديقة والوقت ليلاً في الصفحة على اليسار الخدم يعدون الطعام للطبقة الحاكمة المنتظرة على الصفحة المقابلة على اليمين. العجل قد ذبح، الخبز قد عجن وتدور. المرجل قد وضع على النار والمحتويات قد صبت في أواني وتم صفها فوق بعضها البعض للاستعمال. مقابل هذا المشهد الذي يصبح بالحركة. جلس الضيوف بهدوء يستمعون الى الموسيقى التي تُعزف ويسكتون جوعهم بالفاكهة التي أمامهم أواني الذهب والفضة (تظهر الفضة بالأسود) مثل الشمعدان. الصواني القوارير، الأقداح، الزبادي. وقد استعملت هذه الأشياء الى جانب الزبادي والقوارير المصنوعة من البورسلين الأزرق.
١٩ X ١٢,٥ سم هيرات الميلادي ١٤٩٣/٨٩٨ هـ.





الشكل (٩) - بالمقابل صندوق من النحاس المسكوب نقش وطعم بالنحاس الخام. ظهرت صور الكواكب والأبراج لاستبعاد الأشكال التي حرّمها الدين. جوبيتير في كوكبة القوس والرامي (في منطقة البروج على سبيل المثال بشكل طبيعي الرامي يوحي على شكل آخر. وقد اقتصر إلى زوج من الأيدي بترت من الرسغ. وثمة شريط كتابي هي يظهر تنوع اساليب الخط العربي المستعمل لزخرفة العمل المعدني. القطر ٢٣,٥ سم خراسان القرن الحادي عشر.

العثمانية في أوجها، ومع هذا فهي تعطي انطباعات كبيرة وفكرة واضحة عن بذخ الأعمال المعدنية الملكية بالأواني الذهبية المصنوعة في أبهى الأشكال وأمهرها والمطعمة بالزمرد (صورة ٥) والمرجان الماس والزجاج الصخري، ومواد ثمينة أخرى جعلت زوار القرن العشرين يقفون مذهولين أمام ذلك البذخ والجمال المتمثل في هذه الأشياء. كان هذا نموذج أعمال الصياغة الملكية خلال فترة الدولة الإسلامية..

ومعلوماتنا عن نفعية هذه الأشياء قليلة أيضاً ولا بد أنه كان هناك عدد كبير من الأعمال المعدنية غير المزينة والعملية التي كانت تضع لاستعمالات الحياة المنزلية اليومية مثل قساطل لنقل المياه. وكانت تضع بشكل خشن أو الأواني المطبخية ولم يبقَ من هذه الأشياء حتى يومنا هذا إلا القليل حيث كانت تذاب أو يتم التخلص منها.

ويلزمنا الكثير من الحفريات والاكتشافات لتحديد أهمية هذا النوع من المواد.

وثمة أو أن معدنية مزخرفة أكثر قيمة من تلك التي ذكرناها (صورة ٦) أو أقل. وكانت لا تستحق الإذابة أو التخلص منها، لذا تم إصلاحها وأضيف اليها بعض الزخرفة. وحتى ولو وجدت فقد انتزعت منها المواد المطعمة بها (صورة رقم ١)، إلا أنها بقيت الى الآن وعاشت وهي تشكل الآن أهم موجودات الاعمال المعدنية الإسلامية.

ومثل العديد من الديانات فقد حرّم الإسلام تخزين الثروات على الرغم من أنَّ البعض قد استعمل الذهب والفضة في المساجد والأضرحة المقدسة وقد كانت تقدم كهدايا ذهبية أو فضية. لقد كتب ناصر خسرو Nasiri Khusraus كتب في منتصف القرن الحادي عشر يصف رياش ومعلقات الذهب والفضة التي تزين الكعبة في مكة أقدس مكان في العالم الإسلامي، ويتضمن الأبواب المكسوة بالفضة وحلقات الباب والمحاريب، (جمع محراب) الستة المطلية والمزخرفة بالفضة، والمصابيح الفضية في المساجد، وعطايا الأغنياء المكتوبة أسماؤهم على صفائح كبيرة من الفضة والمعلقة على الجدران. فالتحريم كان موجهاً لتخزين المعدن الثمين للاستعمال الفردي. كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(١)

ويقول الحديث الشريف:

عن أم سلمة زوج النبيﷺ أن رسول اللهﷺ قال. «الّذي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ إِنَّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ»(٢).

والمسلمون الحقيقيون حرَّموا على أَنفسهم الأواني المصنوعة في الفضَّة والذّهب، فالمعري(٣) الشاعر الذي عاش في القرن العاشر عبر أيضاً أحسن تعبير عن هذه الفكرة في أشعاره.

إن هذه الإشارات من الرفض تؤكد إلى أي مدى قد وصل إليه التحريم الديني في إنكاره لأولئك الذين يكنزون الذّهب والفضّة ويستعملون الأواني المصنوعة من المعدن الثمينة.

ولم يكن هناك من مناص لظهور بعض الذين واجهوا هذا التحريم في أوقات معينة... فالرحالة ابن بطوطة(٤) الذي عاش في القرن الرابع عشر يظهر الحقل الاجرائي الذي جرى في مناسبة ذكرها في كتابه عندما وصف وليمة في قصر أمير إيراني. حيث قدم الطعام على أواني من الذهب والفضة بينما قُدم الطعام بالأواني الزجاجية والملاعق الخشبية للضيوف الأقل مرتبة. ورداً على هذا النوع من الصَّور

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٣٣).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١١/ ٣٧٣)، والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين: (٣٣)، والشافعي في المسند: (١٠).

(٣) المعري: هو أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف، ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٣ هـ المرافق ٩٧٣ م، وتوفي في سنة ١٠٥٧ م.

(٤) ابن بطوطة: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله ابن بطوطة، رحالة ومؤرخ، ولد في طنجة سنة ٧٠٣ هـ المرافق ١٣٠٤ ونشأ فيها أو توفي سنة ٧٧٦ هـ الموافق ١٣٧٧ م.

الاجتماعية استطاع أصحاب المنازل العاديين استعمال معدن مزيف ومواد رخيصة بفخر وربما بشعور أكبر من الرضى بالنفس.

ففي القرن الحادي عشر أعلن العالم العربي البيروني[1] أن المعدن المركب من مزيج النحاس الخام والقصدير والرصاص يمكن أن يكون له مظهر الفضة، وذكر أنه تم في القرن الثامن وبأمر من الحجاج[2] تصنيع هذه المادة كردٍّ على تحريم الذهب والفضة. وهذا ليس صحيحاً حيث أن مادة البرونز أو تلك المادة البديلة التي قال عنها كانت قد اكتشفت في عصور ما قبل الإسلام، وكانت هناك أسواق لبدائل من معدن الذهب والفضة، وكانت الرغبة المماثلة للبقاء ضمن قوانين الدين الإسلامي سبباً في تبني صناعة النحاس المطعم، وفيما بعد النحاس المطلي بالقصدير (ص ٦-٨٣). وكانت المراقبة الدينية تسمح باستعمال الذهب والفضة في صناعة أشياء محدودة. أما النحاس المطعم الذي كان يعتبر أكثر لياقة وقبولاً من الذهب والفضة الخالصين فقد كان يستعمل بكثرة.

أما الزخرفة التشكيلية (النحتية) فقد حرمها الإسلام كونها شديدة الشبه بالايقونات والأصنام التي كان يقدسها اتباع الدِّيانات الأخرى. فالإنكار الدِّيني للزخرفة التشكيلية ظهرت في المرحلة الأولى للدين الإسلامي، وعلى الأغلب لم تظهر أي من الأشكال الآدمية أو الحيوانية والتصاميم على الأثاث أو على الأثاث المستعمل في المساجد والأضرحة، فقد ابتعد عنها المسلمون أصحاب العقيدة الراسخة (ص ٦) على الرغم من أن كمية الأشياء التي بقيت الى يومنا هذا والتي تحتوي على عدد كبير من الزخارف التشكيلية تظهر أن ذلك التحريم لم يكن سائداً بشكل كلي في جميع المناطق، وقد كان للتحريم التأثير الكبير على جميع الفنون، فالدّين الإسلامي قد قوّض أهمية الشكل الإنساني والحيواني في الأعمال الفنية

---

(١) البيروني: هو محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي، فيلسوف ورياضي ومؤرخ من أهل خوارزم، ولد سنة ٣٦٢ هـ الموافق ٩٧٣ م، وتوفي سنة ٤٤٠ هـ الموافق ١٠٤٨ م.

(٢) الحجاج: هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد في الطائف سنة ٤٠ هـ الموافق ٦٦٠ م، ونشأ فيها، وتوفي بواسط سنة ٩٥ هـ المرافق ٧١٤ م.

الزخرفية وقاوم فكرة الواقعية (صورة ٩)، وطور وشجع استعمال تصاميم بديلة مثل الرقش العربي وخط الأرابيسك. الطومار والتصاميم الهندسية والخطوط العربية والنقوش والتي كانت وسيلة التواصل بين الشعوب الإسلامية من خلال القرآن الكريم الذي كرم الخط العربي وهو فن الكتابة الجميلة، وبانت المهنة المحترمة التي نالت الكثير من التقدير. لقد كانت هناك خطوط عديدة وزخارف مرافقة لها[١].

وعلى الرغم من أن الأعمال المعدنية صنعت بشكل رئيس للاستعمال الدنيوي، فقد تأثرت تلك الأعمال بالمعتقدات الدينية بعدة طرق. ابتداءً بالتماثيل وانتهاءً بالمواد البديلة والتصاميم. هذه الخلفية الثقافية كانت سائدة في العالم الإسلامي بكامله. على الرغم من ذلك فإن خلق اسلوب مميّز كانت مهمة صانعي الأعمال المعدنية بالإضافة إلى الزبائن والمشترين. ومساهمة هاتين المجموعتين سيصار إلى دراستها فيما بعد ملحقة بلمحة تاريخية للأعمال المعدنية في بلد ما أو منطقة محدودة.

(١) والدليل على ذلك ما أخرجه الهندي في كنز العمال: (٢٩٥٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور: (١/ ١٠): قال رسول الله ﷺ لمعاوية بن أبي سفيان وكان من كتبة الوحي: «يا معاوية، أَلِقِ الدواة، وحرّف القلم، وانصب الباء، وفرق السين، ولا تعوّر الميم، وحسّن الله، ومدّ الرحمن، وجوّد الرحيم».



الصورة (١٠) فاسو فاسكوفالي من البرونز مزخرف بأشكال معقدة من الأبراج ومطعم بالفضة. اثنا عشر دائرة حول الزبدية تحوي كل دائرة تمثيل لكوكب مع اشارة من البرج ويمثل منزله الليلي والنهاري في السماء. على سبيل المثال الشكل الذي يمثل المياه من البئر. يرمز الى كوكب زحل في منزله الليلي وهناك شكل يركب كبشاً ويمثل كوكب المريخ في منزله الليلي وهو برج الحمل، اما غطاء الاناء فيحمل اشكالاً عن الكواكب فقط (إنظر شكل «٥٧»).

الارتفاع ٢١,٥ سم خراسان ١٢٠٠ م

ـ ٢ ـ

الصناع ـ الزبائن ـ المعادن

التقنيات

إن فهم نظم صناعة المعدن والمعادن وتقنيات التصنيع والزخرفة التي كانت متوفرة تستخدم في الأعمال المعدنية للصناع، يساعد على تفسير سبب امتياز الأعمال المعدنية التي تعود إلى الحضارة الإسلامية عن غيرها من الأعمال التابعة لحضارات أخرى والمعلومات التي سنوردها هنا حصلنا عليها من مؤرخي العصور الوسطى ومن الأعمال نفسها.

ـ الصناع ـ

إن شريط الخط والنقش الأيقوني على بريق «فاسكو فيسكوفالي»، أو القصيدة التي تمجد صاحب إبريق تيفليس (انظر الجزء الخامس) لا يمكن أن ينظمها إلا صانع مثقف وأديب. يذكر المؤرخون أن صياغ الذهب أو صياغ النحاس احتلوا



صورة (١١)

شمعدان من صفيحة النحاس مزخرف بمشاهد من حياة القصور ومطعم بالفضة. المالك غير معروف ولكن هناك توقيع حول قاعدة العنق للحاج اسماعيل ومحمد بن فتوح الذي تدرب في الموصل.

الارتفاع ٣٤ سم. الموصل أو دمشق منتصف القرن الثالث عشر



صورة (١٢)

حوض كبير للمياه من النحاس او البرونز المسكوب على مراحل. وقد ظهرت أماكن وصل القطع بعد السكب. أمر بإنشاء هذا الخزان تيمورلنك. وصنعه المعلم عبد العزيز بن المعلم شرف الدين من تبريز لضريح أحمد يساوي في ياسي في ترانسوكونيا. الارتفاع ١٥٨ سم القطر ٢٤٣ سم.

ياسي ١٣٩٩ م ٨٠١ هجري.

المناصب الحكومية وفي بعض الأحيان كانوا يحملون مؤهلات علمية والتواقيع الموجودة على أعمالهم تدل على ثقافتهم العالية، وعلى الرغم من ذلك هناك تفاصيل عن حياة (صناع بعض عمال المعادن ونادراً ما كانوا يوقّعون على أعمالهم وحتى عندما كانوا يفعلون ذلك، فهناك احتمال ضعيف في معرفة ذلك التوقيع من النصوص التاريخية أو السِّيَر الذاتية، فهي لم تكن هامة بالشكل الكافي.

كانت أعمال المعادن، مثلها مثل بقية المهن والمهارات في العصور الوسطى، تعد من أعمال العائلة. وتحدث سيمون سيغوني رحالة من القرن الرابع عشر. عن مهارة الصناع الدمشقيين وعلاقاتهم ضمن الأسرة، فهو يقول:

«الترتيب الموجود فيما بينهم شيء نبيل وجميل فالأب صانع ذهب ولا يمكن للأبناء عمل شيء آخر غير عمل أبيهم. وهكذا فهم ينقلون مهنة الأب من جيل إلى جيل. وهكذا يصبحون سادة صنعتهم وفنهم».

كما يمكن إدخال أفراد من خارج الأسرة ضمن العمل وذلك كمساعدين ثانويين لتعلم المهنة والمساعدة في المهام البسيطة. هناك توقيع على شمعدان يتضمن (صورة ١١)، «زخرفة محمد بن فتوح الموصولي المرصِّع تلميذ الشجاع الموصولي». وهكذا يخبر التوقيع أن المرصِّع أو الصانع قد تدرب على يدي الشجاع بن مناع الموصولي المسؤول عن صنع إبريق بلاكاس (صور ٥٩).

داخل المصنع ثمة تخصص لكل صانع، فالشمعدان الذي ذكرناه سابقاً من المحتمل أن يكون قد صممه وطعمه محمد بن فتوح، ولكنه صُنع من قبل إسماعيل الذي جاء ذكره أيضاً في نقوش الجردل (صورة ٥٤). وموقع على الشكل التالي: «صانعه محمد بن عبد الوحيد ومزخرفه مسعود بن أحمد من هيرات». فقد كان هناك تخصص للصانع والمزخرف في نوع معين من المعدن. أو في تقنية معينة أو في صناعة نوع واحد من الأشياء. وفي بعض الأحيان يشكل التخصص جزءاً من الاسم. مثل صانع النحاس أو السباك أو صانع الجردل وهكذا.

ويمكن للصناع أن يكونوا اصحاب محلات ثابتة أو متجولين، ومعظمهم كانوا يعملون في مراكز المدن حيث تتوفر الرّعاية، وقد كانت منطقة بأكملها أو



صورة (١٣)

صندوق صانغ. صنع من الخشب الملون يحتوي على مجموعة من الموازين والأوزان وأدوات مزخرفة بطلاء ذهبي بسيط، المجموعات الثلاث من الموازين في جانب. للميزان الأكبر مقبض كبير ثبت بالصينية الخشبية وبذلك تشكل ركيزة. اما الجزنين الدائريين فقد علقا بسلاسل من المعدن والحرير الملون. والأوزان الاسطوانية لهذا الميزان رتبت وفقاً للحجم عند صدر الصندوق، ولكل واحد مقبض صغير لسهولة الحمل والتحريك. كما يوجد اوزان اضافية اصغر وضعت تحت غطاء فولاذي منفصل. وهناك ميزان اصغر حجماً داخل صناديق اسطوانية منفصلة مع اوزانها التي تتناسب بالحجم، كما يوجد ادوات اخرى داخل الصندوق منها مقص. ومسطرة قابلة للتبسيط (المد) وزيادة الطول ومبرد وقلم ومجموعة اقفال عدة معضّلات وقطاعة وفرجار والعديد من الصناديق الصغيرة الفارغة، ويتضمن الصندوق المستطيل الأكبر في المقدمة باتجاه اليسار عند الزاوية ادوات للتثقيب او الامساك، بالاضافة إلى ادوات اخرى. وهناك فراغ آخر للتخزين في الصينية، رسم على الصندوق مشاهد من امراء قاجار اثناء الصيد، ومشاهد فلكية او تاريخية اخرى.

الطول ٦٤ سم إيران. القرن التاسع عشر.

شارع بأكمله يخصص لصناع مهنة واحدة معينة فجمعهم ورش العمل والمحلات التجارية والواجهات. وغالباً ما يكون صناع المدن أصحاب شهرة، فيقال: مباخر «حمدان»، ومرايا «حمدان». أقداح «صيرت» للشرب، الأواني المطعمة من هيرات والموصل ودمشق. وكلها مدن ذكرها مؤرخو العصور الوسطى.

ولأسباب عمليّة كانت عمليّات السّكب تجري داخل الورشة التي كانت تحتوي على معدات كثيرة بما فيها الفرن الكبير والقوالب المخصصة لإنهاء القطعة، وكميات كبيرة من المعدن والفيول أيضاً. إضافة من الصّنّاع المتخصصين. على الرغم من ذلك كانت هناك أعمال يقوم بها سكابون متجولون، بل كان بالإمكان سكب الأشياء الكبيرة في «موقع وضعها» مثل خزان كبير للمياه يصنع خصيصاً لضريح مثال الخزان الخاص بضريح أحمد ياساوي في ياسي شمال طشقند (صورة ١٢). كما كان يحدث عند صنع الأعمال المعدنية الضّخمة في أوروبا حيث كان من الصعب نقلها بعد صنعها في الورشة لقد كان الصانع المختص بالسكب ينتمي لأسرة عمال معادن في تبريز تبعد ثلاثة آلاف كيلو متر إلى الغرب وكان العمال المتجولون يقومون بسكب المراجل وأشياء أخرى كبيرة (صورة ٧٩).

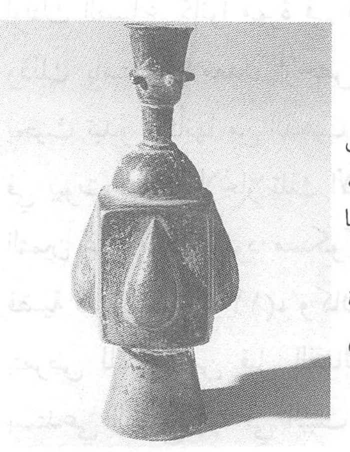
أما صيّاغ الذهب وصنّاع آخرون يعملون في المعادن الثمينة، فقد كان بإمكانهم التنقل بسهولة أكبر حيث أن أعمالهم تتطلب استعمال الأدوات القليلة والصغيرة. وفي المجموعات الصغيرة المنفرد يزود الزبون الصناع بالمعدن. وذلك لأن أولئك الصياغ كانوا مهرة في فنون الخدع والاحتيال مثل تزييف الذهب والفضة وذلك باستعمال معدن أرخص والطلي والتلبيس بمواد معدنية من غير الذهب، بحيث تبدو وكأنها من الذهب أو الفضة الخالص. وكان يطلب من الصياغ العمل في بيوت الزبائن لإنجاز تلك الأعمال، كما أن الزبون يمكنه تزويد الصانع بالمعدن الثمين على شكل نقود مسكوكة أو أشكال معدنية ثمينة تالفة أو أواني ذهبية أو فضية قديمة (صورة ١٣)، وكان الزبون يقوم بوزنها قبل وبعد التصنيع، وذلك لئلا يتعرض للسرقة من قبل الصائغ، وكانت هناك عملية اسلم وأضمن وهي أن يستدعي الصائغ إليه في البيت ليكون، تحت عينينه ومراقبته، وفي ذلك

صورة (١٤)

شمعدان (فقد منه العنق) مصنوع من صفيحة النحاس. طعم بالفضة والذهب. الخطوط الواضحة تشتمل على اسم ولقب السلطان محمد بن قلاوون (١٢٩٣ - ١٣٤١) وقد أمر السلطان المملوكي بصنع مثل هذه الشمعدانات بكميات كبيرة وأشكال اخرى لاستعمالها في مراسيم خاصة.

الارتفاع ٢١,١ سم دمشق أو القاهرة

(١٣٢٠ - ١٣٤٠)



صورة (١٥) (ص ٢٧)

قارورة من النحاس المسكوب، وقوارير صغيرة بعنق ضيق مثل هذه كانت على الأغلب تستعمل لوضع العطور الغالية او الزيوت، ومن المحتمل انه كان لهذه القارورة سدادة من الأعلى يتم تثبيتها بمساعدة النتوئين الظاهرين في اعلى القارورة. وضع القارورة الصلب والأمن اهلها لاستعمالها اثناء التنقلات. شكل القارورة الملفت للنظر يذكر باواني العطور الزجاجية الحديثة فمثلا التي يبدو فيها المحتوى اكثر من حجم الزجاجه التي تحتويها.

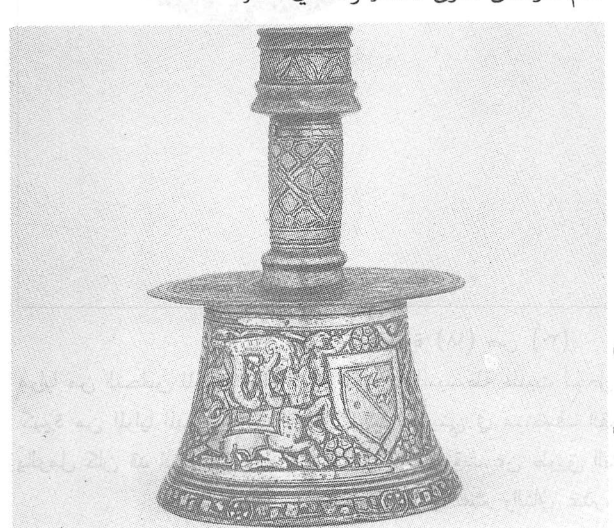
الارتفاع ١٦ سم. خراسان القرن العاشر والحادي عشر.



شكل (١٦)

ابريق وقوارير من كنوز هراري. كنز كبير مؤلف من الأواني الفضية وجدت في شمال إيران. استعمل المزخرف تقنية. الزخرفة البارزة والنقش والتطعيم. تظهر هذه الأواني العديد من الاساليب إلا انها لا تظهر اسم مالكها. ومن المحتمل انها صنعت في ورشات مختلفة للأعمال المعدنية، وربما أمر بصنعها تاجر في خراسان بهدف بيعها في الخارج.

الارتفاع ٢٠ سم خراسان القرن العاشر والحادي عشر.



صورة (١٧) ص (٢٨)

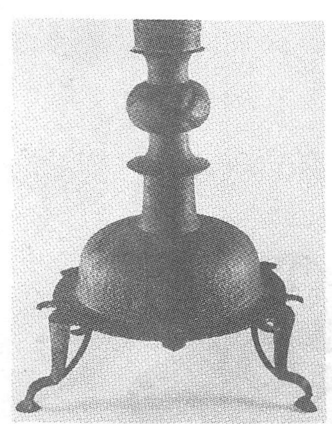
شمعدان صغير من النحاس المسكوب مطعم بالفضة والذهب. شكل الشمعدان ودرع الاسلحة الواضح في الرسوم يدل انه ربما كان شعار عائلة بولدو في البندقية. وتدل على انها صنعت للتصدير الى اوروبا.

الارتفاع ١٢,٤ سم دمشق ١٤٠٠ م.



صورة (١٨) ص (٣٠)

مرايا من النحاس المسكوب او البرونز. الجهة المنبسطة طليت لجعل السطح عاكساً. وقد صنعت اعداد كبيرة من المرايا المدورة مزخرفة بالاسلوب الصيني في منتصف القرن الحادي عشر، ربما لأن السكب بالرمل كان قد ادخل في هذه الصنعة في ذلك الوقت عن طريق الشرق. القطر ١١ الى ١١,٥ سم. إيران. القرن الحادي عشر والثاني عشر.



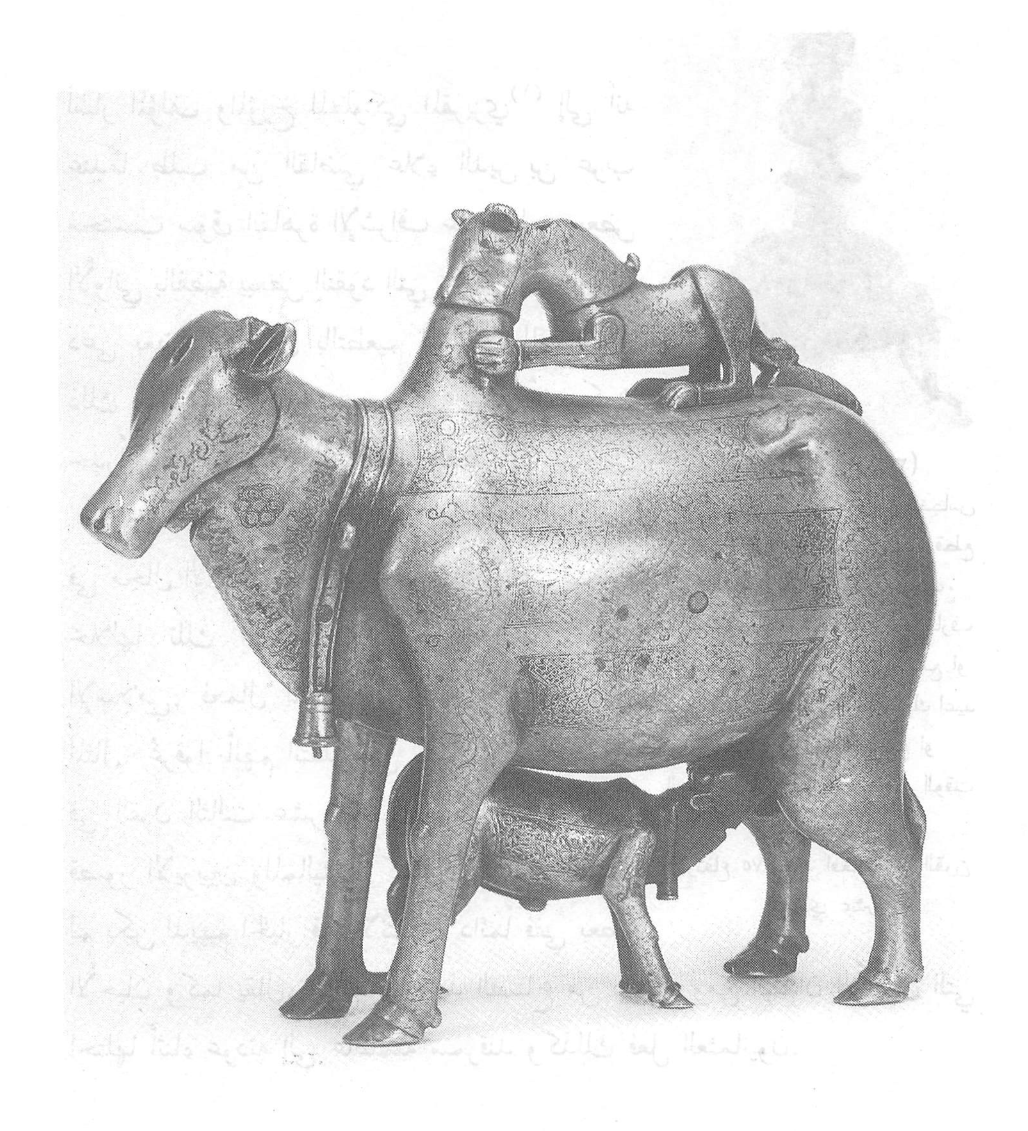
صورة (١٩) (ص ٣١)
تفصيل لحامل مصباح من النحاس سكب بقالب مؤلف من عدة قطع ولحم مع بعضه بعد السكب. التصاميم المنقوشة عليه والزخارف صممت في الأصل على الشمع او قالب من الصلصال. بعد ذلك اعيد سكبه بعد إزالة الشمع او الصلصال. وبذلك تم توفير الوقت والعمل.
الارتفاع ٧٥ سم. افغانستان القرن الحادي عشر

أشار المؤلف والمؤرخ المملوكي المقريزي[١] إلى أنه عندما طلب من القاضي علاء الدين بن عرب محتسب سوق القاهرة الإشراف على تطعيم بعض الأواني بالفضة ببعض النقود التي زودته بها عروسه. دعى بعض المختصين بالتطعيم الى بيته للعمل في ذلك المشروع وكمحتسب كان عليه أن يكون حذراً من أية محاولة للسرقة أو الغش.

وكان الصناع المتجولون الساعون للتدريب في مجال الأعمال المعدنية الوسيلة التي انتشرت من خلالها تلك الصناعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي. فعمال المعادن في الموصل على سبيل المثال. عُرفوا بأنهم انتقلوا الى شمال مصر وسورية في القرن الثالث عشر. وذلك ليكونوا قريبين من قصور الأيوبيين والمماليك، كما أن أولئك الصناع لم يكن لديهم الخيار في الانتقال، دائماً ففي بعض الأحيان وكما يقال، أن تيمور أخذ الصناع من دمشق ومن البلدان الأخرى التي احتلها أثناء عودته إلى عاصمته سمرقند وكذلك فعل العثمانيون.

---

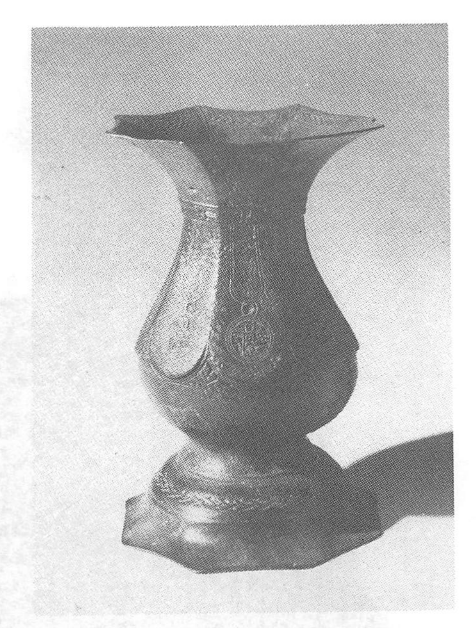
(١) المقريزي: هو أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه) ولد في القاهرة سنة ٧٦٦ هـ الموافق ١٣٦٥ ، وتوفي فيها سنة ٨٤٥ هـ الموافق ١٤٤١ م.



صورة (٢٠) ص ٣٢

إبريق على شكل بقرة ترضع عجلها الصغير واسد تشثبث بظهرها. وهو من النحاس المسكوب نقش عليه مشاهد ومخطوطات طعمت بالفضة. هذه القطعة النادرة والغريبة سكبت قطعة واحدة وربما صنعت بطريقة الشمع المزال او المذاب. والكلمات التي خطت على راسها ورقبتها (اي البقرة) تؤكد اهمية هذا الانجاز وفيها: هذه البقرة والعجل والأسد كلها سكبت بامر من زوربا ابن افريدون ابن بورزين. تبارك مالكه شاه بورزين ابن افريدون ابن بورزين. عمل علي بن محمد بن ابي القاسم المزخرفة في محرم ٦٠٣» (آب ١٢٠٦ م)

الارتفاع ٣٥ سم. إيران ١٢٠٦ .



صورة (٣١)

في الأعلى إلى اليسار آنية للزهور من النحاس المسكوب بزخرفة منقوشة، الجسم المحزز والشريط الضيق البارز حول العنق والحوافي المانجة هي تقليد للأواني المعدنية المصنوعة من صفيح الذهب أو الفضة.

الارتفاع ٢٠,٣ سم خراسان القرن العاشر والحادي عشر.



صورة (٣٢)

في الأعلى: ابريق من صفيح النحاس. إن اللون الذهبي للنحاس والخانات الموجودة على جسم الابريق والتطعيم بالفضة المجدل يخلق تاثيراً بالأناقة والرفاهية تذكرنا النموذج المعدني الغالي. وتخن الخطوط حول حافته في الأعلى. تباريك للمالك غير المعروف

الارتفاع ١٥,٣ سم. هيرات ١٢٠٠ م.

صورة ٢٣

- رب الزبائن -

تتضمن الأعمال المعدنية الإسلامية الأعمال الملكية الكبيرة المصنوعة في مراكز الحكم بموجب أوامر ملكية وحتى بأدوات المطبخ المتواضعة المصنوعة في ورشات الأقاليم للبيع في الأسواق المحلية. وتنعكس الأذواق المختلفة للزبائن على الأعمال المعدنية في الشكل والزخرفة.

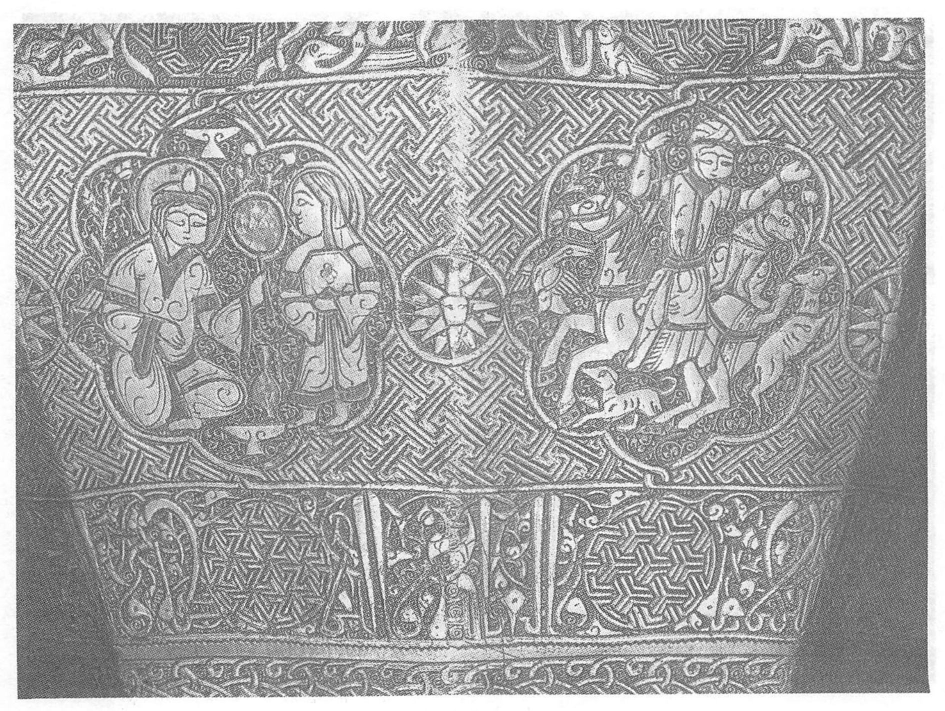
فقد كان للزبون تأثيره على إبداع أية قطعة. فمن عادة الزبون أنه كان يستدعي الصانع إلى بيته أو قصره ليكون تحت مراقبته أثناء العمل، ولهذا كان الزبون يتردد إلى السوق لملاحظة الحيل والألاعيب التي يلجأ إليها الصياغ لسرقة



شمعدان من صفيح النحاس المطروق. مزخرف بالتباريك وبأفاريز ومطعمة بالفضة ومادة سوداء. وتقنية التدوير المستعملة في هذا الشمعدان قد قللت المدة الزمنية لتصنيع القطعة من ساعة إلى عدة دقائق. كما يمكن استعمال القالب مرة أخرى لتصنيع قطعة أخرى بنفس القياس.
الارتفاع ٢٩,٨ سم الموصل أو دمشق.
النصف الثاني من القرن الثالث عشر.

المعدن الثمين. وهكذا يصبح باستطاعته إعطاء الارشادات الصحيحة للصائغ أثناء عمله في بيته في كل ما يخص الصناعة والزخرفة. على سبيل المثال: كان بإمكان الزبون تزويد الصائغ باسمه وألقابه بمقاطع شعرية أو رسائل أخرى يود أن ينقشها بخط جميل وراقٍ وأيضاً تحديد بعض المشاهد التي رآها سابقاً على أوان أو سلع كانت تأتي الى المنطقة عن طريق الصين وأماكن أخرى، وبذلك كان يطلب نسخها كما هي.

وعندما كان يتم طلب صناعة أشياء ثمينة من ورشة ما في مدينة أخرى أو حتى بلد آخر، كان يتم إرسال التفاصيل مع طلب الصنع للتأكد من أن الصانع قد استوعب رغبات الزبون ونفّذها بحذافيرها. وقد سجل المؤرخون أن مئات الشمعدانات المصنوعة من النحاس نقش عليها اسم السلطان، وكذلك خمسون

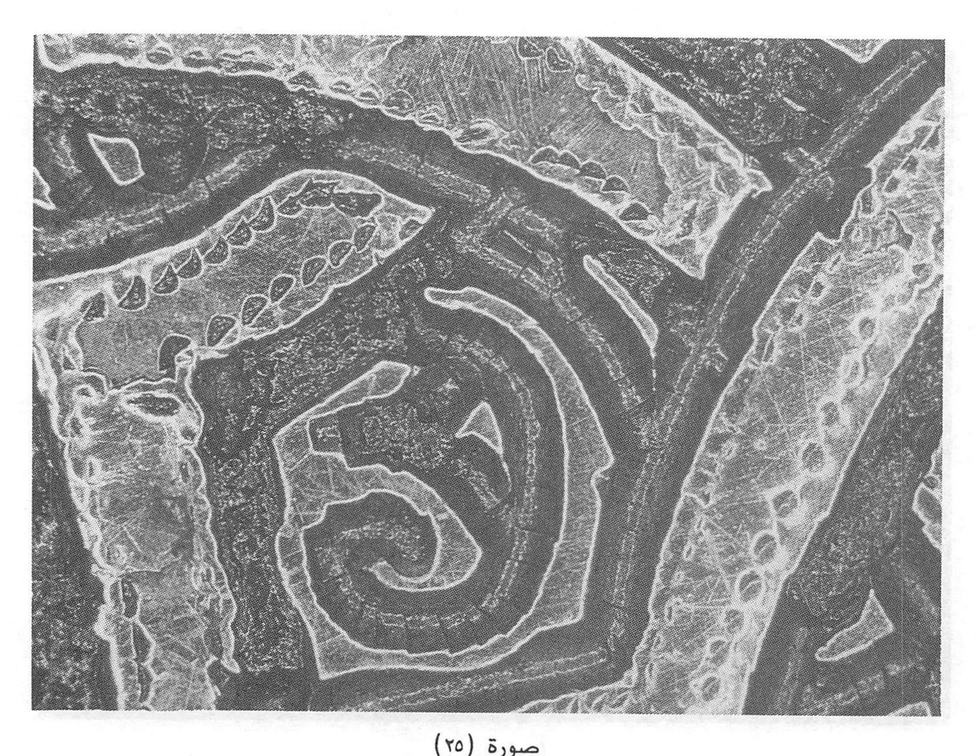


صورة (٢٤)

بالمقابل: تفصيل لابريق بلاكاس (انظر صورة «٥٩») بمشهد من حياة الارستقراطيين في الموصل إلى اليسار هناك سيدة تعجب بنفسها أمام المرآة بينما خادمتها البشعة تقف استعداداً وبيدها شكمجية الجواهر. الى اليمين فارس نبيل يصيد الغزلان مستعملاً الفهد. الصياد المدرب. ويجلس على عجز الحصان إلى أن تقع الفريسة الموصل ١٢٣٢ .

قنديلاً من الذهب والفضة (صورة ١٤)، ومئة قنديل للشمع، وكانت من بين المواد التي طلبها السلطان خليل من دمشق، بمناسبة طهور أخيه محمد في القاهرة عام ١٢٩٣ م. وبدون شك كان يُرسل للصانع نموذج باسم الملك وألقابه مكتوب بخط عربي أنيق ليقوم الصانع بنسخه وذلك مرفقاً بطلب الصنع. وكان ممثلو السلطان يحملون هذا الأمر باليد إلى الصانع للتأكد من تنفيذ الطلب. هذا التدخل المباشر من الزبون يعني انعكاس أذواق الطبقات العليا على الأعمال المعدنية.

ولكن لم يكن للزبون ذلك التأثير دائماً. حتى ولو كانت المواد مصنوعة من الذهب أو الفضة. وقد كانت نادراً ما تعالج الأواني المعدنية المكونة من القصدير. وكان أغلب النتاج يباع في الأسواق محلياً أو خارجياً، وفي بعض الأحيان كان



صورة (٢٥)

بالمقابل في الاسفل زبدية من النحاس المطعم وفي صورة مقربة. الاسلاك المعدنية الفضية قد طرقت في خطوط متوازية، والخلفية قد حفرت بازميل لتملأ فيما بعد بمادة الريزين.
دمشق القرن الخامس عشر.

يباع لغرض التخزين بحيث كانت توضع فيه الأشياء والمواد القيمة، مثل العطر أو الزيت.

كان إخصائيو بعض المدن يجذبون التجار ليأخذوا منهم البضاعة لبيعها في مدن أخرى بالمفرق أو الجملة. وقد وجد كنز هراري من الفضة، في وعاء شمال إيران، ويمكن أن يكون التجار قد جمعوا الفضة من مراكز صناعة المعادن في خراسان، ويتضمن الكنز من الأواني الفاخرة سبع قوارير لماء الزهر وست مباخر. وعلبتين للحلي (شكمجية) ثلاث أوانٍ للشرب وزبدية (سلطانية) معلقة وعدد كبير من زينة الخيل، ولم يكن على هذه الأشياء أي نقوش تدل على صاحبها. والعدد الكبير للأواني والتشابه في الأسلوب يدلُّ على أنها لم تكن لفرد واحد، وربما نقلها

تاجر باتجاه الغرب عندما أجبر على تخبئة سلعه، ولم يطالب بها فيما بعد لسبب أو لآخر.

تعكس الزخارف التي وجدت على السلع المعدنية والمعدة للبيع في الأسواق الذوق العام. فالنقوش التي تعبر عن التبريك والتمنيات بالرفاه والسعادة والنجاح لمن يشتريها ويكون مجهولاً، كانت سائدة في تلك الأيام، كما كانت تنقش على الأعمال صور الأبراج وتصاميم أخرى تناسب أي مشتري لهذه السلع. وعلى الرغم من ذلك كانت هناك أوقات تخضع فيها زخارف تلك السلع إلى ذوق مجموعة معينة في السوق ونذكر على سبيل المثال، الأعمال المعدنية المملوكية كانت تخضع لاحتياجات وطلبات زبائنها الأوروبيين، وذلك حسب ما ينقل اليهم بواسطة التجار الوسطاء. (صورة ١٧) وتدل أشكال وزخارف منتجاتهم على الوجهة التي ستنتهي إليها القطعة. وكان صناع الشرق الأوسط يستعملون في صناعة تلك السلع المعادن المختلفة مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والصّفيح، وذلك قبل ظهور الإسلام، أما الصناع في العصر الإسلامي فقد أضافوا معدناً جديداً واحداً فقط في القرن الخامس عشر وهو التوتياء، وكان يستعمل سابقاً في شكله غير المعدني فقط، في خليطة معدنية من النحاس والقصدير ومعظم تلك المعادن كانت تصدر من مناطق مختلفة من الدولة الإسلامية. وأغنى مصدر للمعادن كان الإقليم الشرقي لخراسان. والمعدن المستثنى الرئيس كان القصدير فقد كان يستورد من جنوب شرق آسيا وبسعر غالٍ حتى حوالي القرن الرابع عشر عندما أصبح يستورد وبكميات كبيرة من أوروبا.

ويمكن للمعادن أن تستعمل كل واحد على حدى باستثناء الذهب والفضة بسبب ارتفاع قيمتها... وكان يتم خلط المعادن الأخرى مع بعضها لإنتاج سبائك، وأكبر هذه السبائك شيوعاً النحاس الأصفر وهو خليط من النحاس والزنك (التوتياء) وكان يستعمل لإنتاج أشياء تصنع من الصفيح المعدني. (صورة ٢٢) فالزنك يجعلها قابلة للطرق ويعطيها اللون الأصفر. أما النحاس المرصص فهو مؤلف من النحاس المخلوط بالرصاص والزنك (التوتياء)، وكانت تستعمل تلك الخليطة

المعدنية لسكب الأشياء. وكان الرصاص أرخص من النحاس والزنك وهكذا كان يساعد على تخفيض سعر المقولبان ذات الجدران الثخينة. وكذلك لتسهيل وفرة المعدن، ويضيف في نفس الوقت وزناً للقطعة بعد صنعها. والمصادر المفيدة لتلك الخلائط كانت الأواني القديمة أو المكسرة عديمة الفائدة من نتاج عصور ما قبل الإسلام.

وكان النحاس الأصفر المعدن الأساس المفضل لصناعة الأشياء الراقية خلال العصر الإسلامي ولكنه كان عرضة لصدأ النحاس والطعم غير المستحب والتسبب بأمراض التسمم المعدني من جراء تفاعله مع بعض المواد الحمضية، وهكذا لم يكن من المناسب تصنيع الأواني المطبخية أو أدوات المطبخ إلا إذا تم تلبيسها بطبقة من القصدير العازل.

البرونز ـ ويعرف تقنياً بأنه النحاس مضافاً إليه القصدير مع القليل من الزنك (التوتياء) أو بدونه. وفي الواقع لم يكن البرونز معروفاً في العصر الإسلامي باستثناء بعض المنتجات الخاصة مثل المرايا (صورة ١٨) فاللون الداكن لبعض سبائك النحاس المرصص قاد إلى تفسير خاطىء إليها على أنها سبائك من البرونز. ومن المستحيل تحديد مكونات معدن ما من المظهر الخارجي وبواسطة الرؤيا فقط. ولكن التحليل العلمي قد أظهر أن الغالبية العظمى لهذه الأشياء كانت تحتوي على درجة عالية من الزنك التي تحتوي على خصائص النحاس الأصفر. وفي هذا الكتاب وصفت كذلك إلا إذا كان هناك دليلاً علمياً على أنها من البرونز... ورغم ذلك فقد تخصصت بعض المناطق في صنع الأواني البرونزية المعالجة بالقصدير (صورة ٤) (نحاس خلط مع ٢٠ ـ ٣٠٪ من القصدير) وعرف بالمعدن الرنان في الغرب بسبب صوت الرنين الواضح الذي ينتج عن دقة. والبرونز المعالج بالقصدير أغلى بكثير من ذاك المعالج بالنحاس الأصفر، وذلك لأن القصدير كان مستورداً ويصعب تصديقه لأنه كان يتم استيراد القصدير وبسبب صعوبة تصنيعه وكذلك نرى أنه ثُمّن غالياً بسبب خواصه الغريبة والمميزة، كمظهر الفضة والصوت الرنان ومقاومته للصدأ.

الحديد والفولاذ ـ سبيكة الحديد مع القليل من الفحم كان لا يستعمل للأواني وأيضاً للسلاح والعتاد، وذلك وفقاً لما جاء على لسان كتاب عاصروا الإسلام. ولكن كلاهما كان معرضاً للنخر والتآكل والصدأ. نماذج بسيطة منها قد بقيت إلى وقتنا هذا من مختلف العصور الوسطى مثل البرونز المعالج بالقصدير ـ والفولاذ الذي كان يفتخر به ويقدره زبائنه. (صورة ٨٤) المؤرخ المملوكي القلقشندي عندما يناقش حول المواد التي كان يفضلها النساخ لحفظ اقلامهم، يقول: «النحاس الأصفر هو الأكثر استعمالاً والفولاذ أقل بسبب ندرته وغلائه، إنه امتياز الطبقات العليا من القادة مثل الوزراء وطبقات أخرى مشابهة.

تقنيات التصنيع

يمكن أن تقسم تقنيات التصنيع الى عمليتين أساسيتين مختلفتين. المعدن المنصهر ويمكن أن يسكب حسب الشكل المطلوب. أو المعدن الصلب الذي يمكن أن يعمل فيه ليصبح بالشكل المطلوب عن طريق عمليات متعددة مثل الطرق الثقب والتدوير (الفتل).

السكب ـ هناك عدة طرق للسكب وكانت معروفة لدى الصناع المسلمين وقد ذكرها مؤرخو القرون الوسطى. قوالب مفتوحة تستعمل لسكب أشياء صغيرة وبطرق بسيطة وهي بسطح واحد منبسط. وتستعمل لصنع التعليقات أو الزنانير، وفي بعض الأحيان يكون القالب منقوشاً بالعكس على الصخر من أجل الاستمرارية والديمومة. أما السكب على الرمل وهي عملية تتم بضغط جانبي الشيء المراد سكبه على الرمل داخل حاضن معدني ويُضَم الجانبان عندها للصب أو السكب معطياً طريقة سريعة وفعالة لإعادة سكب نُسخ أخرى (صورة ١٨).

القوالب ـ وهي مؤلفة من عدة قطع، وكانت الطريقة الأكثر شيوعاً للسكب، وتستعمل لسكب أشكال أكثر تعقيداً. في هذه التقنية يتم انشاء الشكل المعدني المطلوب من مادة الشمع أو أي مادة أخرى، حول نواة إذا أريد بها أن تكون فارغة

من الداخل)، ويغطى بالصلصال لتكوين قالب الصلصال الجاف. يقطّع بعد ذلك إلى أقسام بحيث يؤخذ كل قسم بدون أن يتضرر القسم الآخر. ويتم التخلص من المادة المصاغ منها النواة. إذا كانت هناك نواة، وذلك إن تسحب إلى الخارج بواسطة قضبان حديدية قبل سكب المعدن المذاب في الفراغ. عمال المعادن المسلمون كانوا في الغالب يسهلون العملية وذلك بسكب آنية بقالب مؤلف من عدة أقسام ويلحمونها مع بعضها البعض، وذلك أفضل من تصميم قالب مؤلف من عدة أقسام قادرة على تشكيل الشيء المراد سكبه بشكل كامل، شكل (١٩).

الشمع المذاب أو تقنية السكب بالشمع الهالك. شاع استعمال هذه التقنية في أعمال السكب البرونزية للأشياء التراثية، وعرفها أيضاً عمال المعادن المسلمون، والعملية شبيهة بعملية قوالب القطعة، ولكن القالب لا يتألف من أقسام. تتم العملية بإزالة النموذج بتذويب الشمع المصنوع منه وسكبه إلى خارج القالب. ويجب أن يكسر القالب الخارجي بعد ذلك للحصول على النموذج المطلوب بعد سكب الفراغ الناتج عن إزالة الشمع بالمادة المعدنية المطلوبة. وبذلك لا يمكن استعمال القالب مرة ثانية فهو قالب هالك. ومن الصعب التمييز ما بين شيء صنع بطريقة الشمع الهالك، من الشيء المصنوع بطريقة القالب المؤلف من عدة قطع. ولكن تكرار الأشكال التي وجدت في العصر الإسلامي يدل على استعمال القالب المؤلف من عدة قطع (صورة ٢٠). وأكثر الميزات المثيرة للفضول في العصر الإسلامي هو أن التقنية لم تستغل بالشكل الكبير. والحسنة الرئيسة من العمل بالسكب بدلاً من صفائح المعدن هي تنوع ثخانة جسم الشيء، وهكذا يصبح بالامكان تكوين زخارف بارزة رائعة. وعلى الرغم من ذلك فمعظم الأواني المنتجة خلال العصر الإسلامي تتميز بصفات الأشكال الملساء المكونة من الصفائح المعدنية، هذه الظاهرة يمكن تفسيرها بسبب طغيان الأعمال المعدنية المكونة من الذهب والفضة. فالزبون المصاب بإحباط من عدم القدرة على الحصول على سلع من المعدن الثمين، يسعى إلى تقليد تلك القطع الذهبية والفضية، بغض النظر عن المعدن المصنوع منها. ولأسباب اقتصادية فإن الأواني الذهبية والفضية كانت تطرق بدون تغيير وتتألف

من صفائح. وهكذا ظهرت الأفضلية أو التمايز في العمل فظهرت الأعمال المرتبة الحسنة المنظر ذات الجوانب المسطحة للأعمال المعدنية المطروقة شكل (٢١ - ٢٢). هذه الأشكال ظهرت في العديد من أعمال النحاس المسكوب، وبالفعل فإن تلك الأعمال النحاسية المقلدة كانت في الغالب أفضل المصادر المعلوماتية حول الأنواع والأشكال المصنوعة من المعادن الثمينة والتي لم تعش إلى يومنا هذا.

وأكثر النحاسيات المسكوبة إبداعاً، هي تلك التي ليس لها شبيه من الفضة أو الذهب، وتتضمن تلك الأعمال عدداً كبيراً من المواضيع (صورة ٢٠)، وبسبب حجمها الكبير كان يستحيل استعمال صفائح الذهب أو الفضة أيضاً. (صورة ١٥). الأواني العادية مثل المراجل والهاون والقوارير كان للصانع الحرية في استغلال الاحتمالات النحتية لتقنية السكب.

الأعمال المعدنية بالصفائح:

أشياء بسيطة يمكن تشكيلها باستعمال الصفائح المعدنية وبدون أعمال إضافية، هذا عدا اللحام بالقصدير أو البرشمة (التثبيت بالمسامير) لجمع القطع مع بعضها، وبهذه الطريقة كان يصنع بها العديد من الأشياء النفعية الأساسية. أما الأشياء الأدق فقد كانت تتطلب استعمال تقنيات إضافية مثل الطرق والفتل.

وكان الطرق يستعمل لإعطاء الأشياء شكلها المطلوب، وذلك بأن توضع الصفيحة المراد طرقها على سندان وتطرق وتدخل في تجويف لتشكيل تقعير في الصفيحة. كما كان يستعمل الطرق على أشياء صنعت بطريقة أخرى مثل الفتل وذلك لتقوية الأطراف (الحوافي)، أو إعطائه شكلاً مزخرفاً، وبهذا يصبح المعدن المطروق هشاً سهل الانكسار، ويصبح بحاجة لتحميته بعد طرقه في أفران عادية.

أما الفتل فقد اختير ليكون الطريقة الأسرع والأكثر عملية لتكوين الأشياء، وذلك بضغط قرص من المعدن على مسنن في مخرطة معادن ويدور بأقصى سرعة. تتطلب هذه التقنية قوة كبيرة. وأدل مثال على تقنية الفتل يمكن أن نراها في أشياء صنعت في الموصل في أوائل القرن الثالث عشر. والظاهر أنها كانت أول الأشياء

التي ظهرت في العالم الإسلامي كله. تم اختراع هذه الطريقة كما يظهر لتسريع انتاج الأشياء المصنوعة من صفائح النحاس الأصفر. ولكن من الواضح أنها لم تناسب الأشكال المركزية (مشتركة المركز) (صورة ٢٣). وعادة يخلط بسهولة ما بين الفتل والدوران. فإتمام شيء ما على المخرطة كانت تقنية تستعمل عموماً في الأعمال المعدنية المسكوبة والصفائح ابتداءً من العصر الحديدي وما تلاه. وكلا التقنيتين تركتا بصمة واضحة على الأواني. وهذا ما قاد إلى الخلط ما بين الطرق وهو العمل بالمعدن الأحمر الساخن المنصهر الطريقة لتصنيع البرونز والحديد وكلا المعدنين يمكن سكبهما كما يمكن العمل بالحديد وهو بارد أما البرونز فلا يمكن لأنه هش وسهل التفتت والانكسار اذا ما تعرض للطرق وهو بارد.

تقنيات الزخرفة

أكثر الأمور التي تثير الإعجاب في الأعمال المعدنية الإسلامية هي سطوحها المزخرفة. حتى أعقد الأشكال يمكن تغطيتها بأدق الزخارف التي تتحدى البعد الثالث للقطعة ولقد سخرت والتقنيات التقليدية بشكل كامل في الزخرفة.

فقد كانت توضع التصاميم على سطح المعدن بالتثقيب البارز أو النقش أو الحفر، أو الزخرفة البارزة أو بطرق المعدن من داخل الوعاء المراد زخرفته على مادة قاسية وثابتة مثل البيتومين (الزفت المعدني) مكوناً تصميماً زخرفياً رائعاً. صورة (٥٢) ولقد خصصت هذه التقنية للأشياء المصنوعة من الصفائح المعدنية الرقيقة.

التثقيب: إزالة جزء من المعدن لتكوين ثقوب في الشيء المراد زخرفته بهذه التقنية، وهذا ما يجعل القطعة مرئية وأكثر إضاءة.

النقش: إزالة بعض المعدن من السطح بآلة حادة كي يتمكن صانع المعدن من تشكيل شكل وتصاميم أخرى أو تصوير أدق التفاصيل المعقدة.

الترصيع: حز وتقليم سطح المعدن بدون إزالة أي جزء منه علي حدي التثقيب والنقش، مما يضيف تفاصيل إلى الزخرفة. صورة (٢٤). هذا النوع من

زخرفة السطح يمكن انتاجه بكميات كبيرة بتطبيق هذه الزخرفة على قالب النموذج المراد سكبه صورة (١٩).

كما كان يضاف اللون على سطح المعدن عن طريق التلبيس أو تقنية التطعيم.

التلبيس، هو وضع الجواهر والمواد الأخرى المراد تلبيسها لتشكيل تأثير على سطح الشيء. استعملت هذه التقنية أولاً لتصنيع الشعارات الملكية، صورة (٥).

التطعيم: هو إضافة مادة أو معدن آخر مثل الذهب أو القصدير فقد كان يتم لتقليد الأواني الذهبية والفضية صورة (٨٣).

والتطعيم وضع مواد أخرى على المعدن، وكانت تلك الطريقة سائدة في العصر الإسلامي وكان التطعيم يتم بالمعادن الثمينة بالإضافة إلى التطعيم بمواد لامعة قاسية ذات لون غامق تتكون من خليطة معدنية، وذلك لتعزيز التصاميم المنقوشة. أهم المعادن التي كان يتم التطعيم بها هو الذهب والفضة والنحاس، بالإضافة اللون أو مادة سوداء مثل البيتومين (الزفت المعدني) لاعطاء تضاد في الألوان خاصة لدى نقش التَّصاميم المعقدة.

وتتطلب عملية التطعيم مهارة ووقتاً، لأن السلك المعدني المراد تطعيمه في القطعة المعدنية يتطلب القيام بسلسلة من الاخاديد الخفيفة على القطعة المراد تطعيمها، ويقوم الصانع بحفر تلك الأخاديد بخفة وفق التصميم، ويضع السلك بعد ذلك على طول الأخدود المحفور ويطرقه بعد ذلك. (صورة ٢٥) أما بالنسبة لتطعيم الصفائح المعدنية، فيتم أولاً إزالة المنطقة المراد تطعيمها بصفيحة من معدن آخر ومن ثم يتم قص صفيحة تناسب المنطقة المفرغة ليتم إنزالها بعد ذلك مكان القطعة الأصلية المزالة. ويتم دق حوافي النحاس الأصفر عليها وعادة يتم حفر التصميم على الصفيحة المعدنية الرقيقة والمنطقة حول التصميم المطعم وتخشَّن وتغطى بمادة سوداء بيتومين (زفت معدني أوريزين أو حتى تسويد.

تعكس الأعمال المعدنية الإسلامية المجتمع الذي أنتجها، طرق العيش الهموم. وتظهر أذواق الزبائن من خلال الأشياء التي كانوا يحصلون عليها، كما نفهم

المجتمع من خلال الزخارف التي وجدت على تلك الأشياء. (ش ٢٤) ففي رسوم الكثير من الحضارات كانت الأعمال الفنية تخبر عن الكثير من المعلومات، ونتعرف عن الفن الإسلامي والرسومات الإسلامية من خلال المخطوطات والأعمال المعدنية المنقوشة، وهي تساعد على المقارنة مع الرسومات في الحضارات الأخرى.

وهناك أمثلة: الأشكال المزخرفة التي تعبر عن الأبراج السماوية التي بدت في عهد الغوريين في هيرات مع المشاهد المماثلة في أعمال الزنكيين في الموصل ومع أعمال المماليك في القاهرة.

كلها تعطينا معنى هذه الأشياء التي أنشئت بشكل خاص لأولئك الناس وتغني معلوماتنا حول الحياة الاجتماعية التي عاشوها.

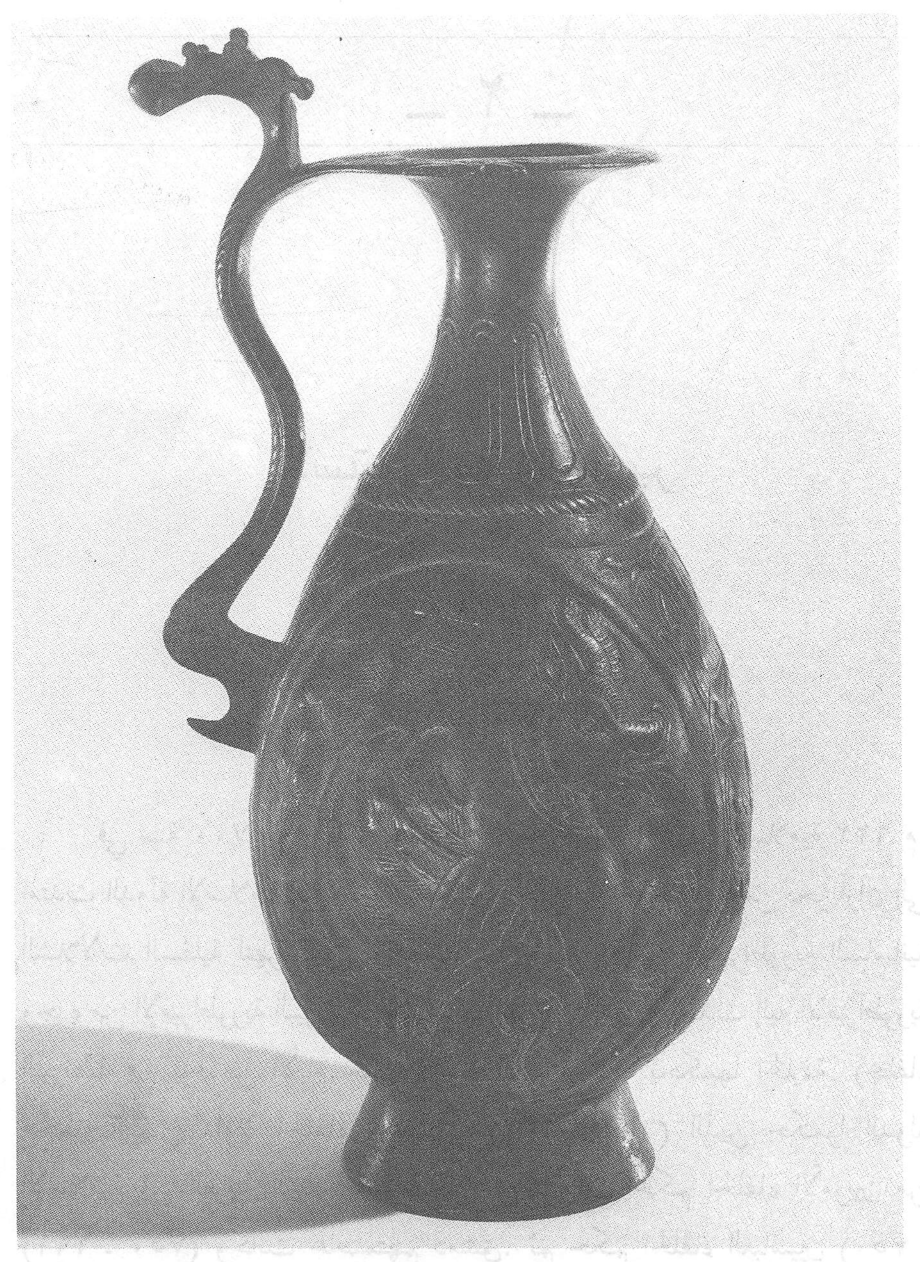
ـ ٢ ـ

الاستمرارية والتغيير

٦٠٠ ـ ٩٠٠ م

في سنة ٧٠٠ م،أي بعد أقل من قرن من تأسيس الدولة الإسلامية ٦٢٢ م، امتدت الدولة الإسلامية من خليج بسكاي وحتى نهر الهندوس ومن بحر آرال إلى الشلالات السفلية لنهر النيل. وقد شملت جميع أراضي الإمبراطورية الساسانية وجزء من الإمبراطورية البيزنطية، وبهذا امتدت إلى أبعد ما امتدت إليه الامبراطورية البيزنطية في يوم من الأيام. تلك الدولة الكبيرة كان يحكمها الخليفة. (خلفاء محمد ﷺ). أولاً الخلفاء الراشدون (٦٣٢ ـ ٦٦١) الذين حكموا الدولة الإسلامية من العربية السعودية (الحجاز) وبعد ذلك حكم الخلفاء الأمويين من (٦٦١ ـ ٧٥٠) وكانت عاصمتهم دمشق. ثم حكم الخلفاء العباسيين (٧٥٠ ـ ١٢٥٨) وقد نقلوا الخلافة إلى بغداد في العراق.

شهدت العقود الأولى من العهد الجديد تغيرات في الثقافة شملت كامل الامبراطورية الإسلامية. فقد ظهرت مجموعة من الحكام او الولاة لتحكم في المناطق التي فتحها العرب المسلمون، وكان همهم هو تنظيم الجباية في تلك المناطق



صورة (٢٦)

ابريق من النحاس المسكوب بزخارف بارزة. يعود شكل الآنية بشكل كامل إلى الكلاسيكية القديمة، وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت مثل هذه الآنية في إيران في العصر الساساني. وتحتوي والدائرتين تحتويان على حيوان اسطوري يظهر عادة في الانسجة الساسانية. وفي هذا الابريق اقترف الصانع خطا في تكوين ذلك المخلوق ووضع قرونه امام اذنيه.

الارتفاع ٢٩ سم العراق او إيران القرن التاسع

التي فتحت. حيث كانت تفرض الجزية على السكان غير المسلمين من أجل الحماية، لذلك أصبحت موارد الدولة في أيدي المسلمين وليس في أيدي الحكام الأصليين. وهكذا سيطر المسلمون على الموارد والثروات وكانوا الزبائن الأهم للصنائع ومنها صنائع الأعمال المعدنية، وقد تبنوا بحماس العديد من التقاليد الفنية التي وجدوها في البلاد المفتوحة. (صورة رقم ٢٦) وتماماً مثل السفراء في عصرنا هذا، فقد سعى العرب الى فرش قصورهم على طريقة البلد الذي فتحوه. وذلك للتأثير على النخبة من المحليين ولإرضاء متعتهم في امتلاك ما هو غير متوفر في بلدهم.

كان العديد من الدول التي شكلت الدولة الإسلامية الجديدة تملك صناعات معدنية متميزة متأصلة في حضارتهم تختلف من منطقة إلى أخرى، واستمرارية هذا التنوع في الفنون خلال أوائل العصر الاسلامي يجعل من الضروري النظر في الصناعة المعدنية في كل بلد على حدى.

ـ سورية ـ

دول شرق البحر الأبيض المتوسط وكانت المزود الأهم للأعمال المعدنية المرسلة إلى روما وبيزنطة ومثالها إناء محفوظ في معبد قرب انطاكية (صورة ٢٨) وهو مبين أنه كانت هناك صناعة رائعة لمعدن الفضة خلال القرن الذي سبق الفتوحات الإسلامية لها. ومثال عن هذه الأعمال مبخرة النحاس التي وجدت بالقرب من النبك وهذا النوع من المباخر الحبشي كان سائداً في سورية في ذلك الوقت. (صورة ٢٧).

إن نوع الأواني هذه قد تم تبنيها كلها للاستعمال الدنيوي، وتكرر ذلك خلال العهد الإسلامي خاصة في سورية ومصر. كما تكررت تقنيات الزخرفة والتصاميم وأهمها الافريز المخطط الذي لعب دوراً هاماً في زخرفة الأعمال المعدنية الإسلامية، وبالفعل فإنه لا بد وأن الأسلوب البسيط لمعظم الأعمال المعدنية الفضية



صورة (٢٧)

محرقة بخور من النحاس المسكوب بمشاهد طقسية، وذلك بالنحت البارز الواضح حول الجهة الخارجية. والمبخرة كانت تعلق من سلاسل خلال الطقوس الدينية (صورة ٦٣) تظهر الصورة احدى المباخر اثناء الاستخدام. وقد تم العثور عليها بمنطقة النبك قرب مدينة دمشق.

الارتفاع ٦,٥ سم. سوريا القرن السادس

الإسلامية جاء من التقاليد السابقة. ولم تكن تلك التقنيات موجودة في الحضارة الساسانية في إيران.

أما الدولة الأموية التي حكمت من دمشق في الفترة ما بين (٦٦١ - ٧٥٠) فمن المحتمل أن يكون خلفاؤها قد استعملوا الأواني المعدنية لتعزيز انتصارهم الدولة المهزومة. على الرغم من ذلك وبما أن الدولة الإسلامية كانت كبيرة ومتنامية، فقد كانت ترد عليها أعداد هائلة من الهدايا والعطايا من الشرق والغرب، وبدون شك فإن خزينة الدولة كانت تحتوي على خليط من الأشياء والأبنية ذات الأساليب المختلفة في صنعها، كما هو واضح من زخارف عمارتهم وقصورهم.



صورة (٢٨) ص ٤١

كنوز حماه، كنوز من الفضة ربما من قبر قارون بجانب انطاكية وتتضمن معظم الأشياء التي كانت تستخدم أثناء الطقوس الدينية. أقداح صحون وأباريق. مصافي النبيذ، مغارف، مصابيح ملاعق وقد سكبت جميعاً وتتضمن الزخارف المتنوعة من نحت بارز ونقوش وحفر. سبعة عشرة قطعة منها تحمل خطوط تذكر اسم مالكها.

شمال سورية ـ القرن السادس

ـ مصر ـ

اشتهرت مصر بصناعتها المعدنية خلال العهد الروماني وخلال القرون التي سبقت الفتوحات الإسلامية

وكانت الأعمال المعدنية المسكوبة تصدَّر من مصر إلى شمال إفريقيا عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا حتى أنها وصلت إلى انكلترا، حيث شكلت مراجل البرونز جزء من قبر سوتون هو Sutton Hoo.

في أوائل القرن السابع كانت مصر تنتج العديد من الأواني، بما فيها المصابيح وقواعد المصابيح والمباخر والأباريق والقوارير، ومغارف الزبادي والصناديق والقساطل والمراجل (صورة ٤٥) وتتبع الزخارف دائماً شكل الآنية.

وعلى سبيل المثال فإن الأجسام المنحنية والمقابط المزخرفة كانت سائدة.



صورة (٢٩)

صحن ساساني (فارسي) فضة زود بالنحت البارز من الذهب لديونسيوس. وقد تم صنع كل عنصر من العناصر الموجودة بشكل منفصل عن الآخر. ويظهر هنا كيف فقد جزء من النحت وقد فرغ مكان راس الصورة.

القطر ٢٢,٦ سم إيران القرن الثالث.

ويبدو أن الصناعة المعدنية قد بدأت تنحدر بشكل سريع خلال الفترة الأولى للحكم الإسلامي. وقد كان ينظر إلى مصر كمصدر دخل للخلافة. فقد فرضت الضرائب على بعض السكان حتى لم تعد هناك فرص كبيرة أمام الأهالي للحصول على الأعمال المعدنية الراقية فقد غادر المواطنون الإغريق الإسكندرية إثر فتحها من قبل المسلمين عام ٦٤٢ وسبب الحروب الطاحنة أصبحت التجارة صعبة عبر البحر الأبيض المتوسط. وتعطل التصدير الذي يعتمد المادة الأساسية لإنتاج السبائك



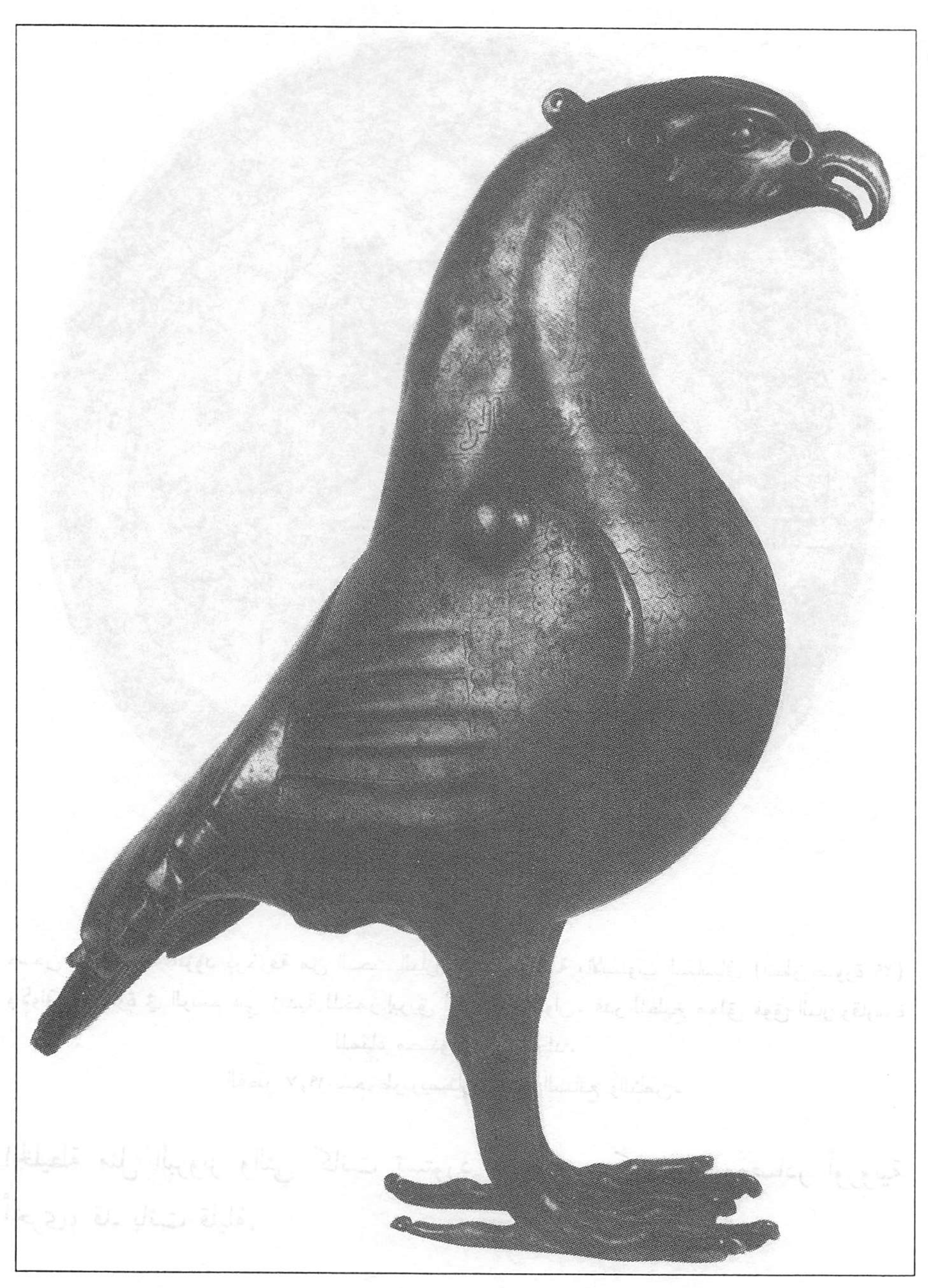
ش (٣٠)

صحن من الفضة المزود بزخرفة من النحت البارز. يمثل وليمة بالأسلوب الساساني (انظر صورة ٢٩) والأواني الظاهرة في الرسم هي زبدية للخمر إبريق للخمرة بالألوان. قدر للطبخ معلق فوق النار وقارورة للمياه مصنوعة من الجلد.

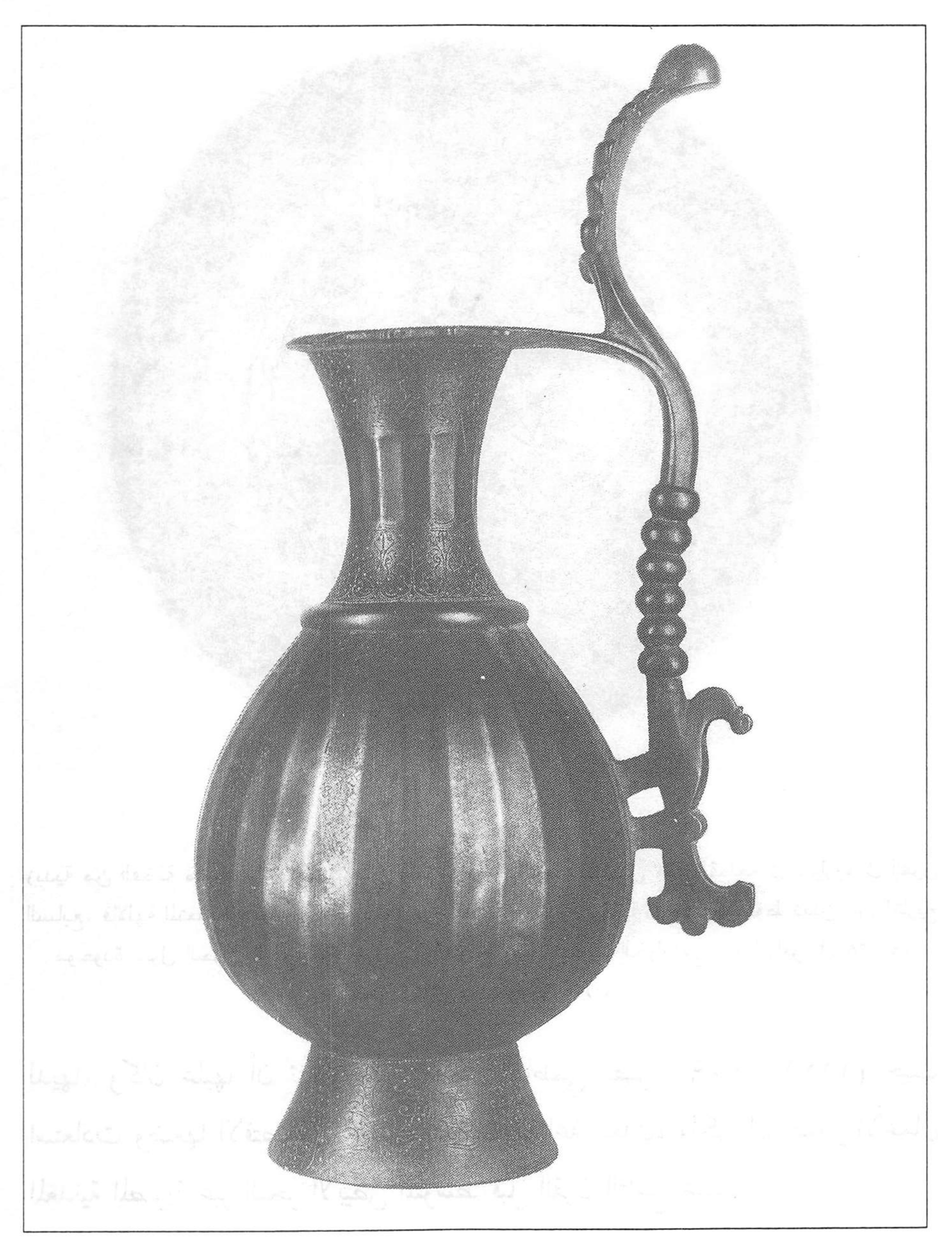
القطر ١٩,٧ سم طربريستان القرن السابع والثامن.

الخليطة مثل البرونز والتي كانت تستورد سابقاً من كورنويل ومصادر أوروبية أخرى، قد باتت قليلة.

هذا الوضع جعل صناعة المعدن المصري يمر بأزمة صعبة لم يخرج منها أبداً. فبعض الأواني التي كانت تصنع في مصر اختفت من الأسواق، أما نوعية الأواني التي باتت تصنع في مصر فقد أصبحت تحمل مواصفات أدنى بكثير من السابق. وبحلول القرن الثامن وجدت مصر نفسها ملزمة على إذابة بعض التماثيل لحل الأزمات المالية



صورة (٣١)
ابريق على شكل طائر من النحاس المسكوب ومنقوش ومطعم بالفضة والنحاس غير المعالج. فقدت عروة الابريق. وتظهر كتابة حول رقبة الطائر تعطي اسم صانعه، سليمان وتاريخ الصنع.
١٨٠ هـ . ٦٩٦ - ٦٩٧ م
الارتفاع ٣٨ سم العراق (٧٩٦ - ٧٩٧)



صورة ٣٢

إبريق البصرة. من النحاس المسكوب وهو إبريق مزخرف بالنقوش والكتابة حول حوافيه التي تذكر انه من صنع ابي او ابن يزيد في البصةى. عام ٦٩ هـ ٦٨٩م. على الرغم من ان بعض العلماء يعتقدون ان النقش لم يتضمن القرن وان التاريخ يجب ان يقرا. ١٦٩ هـ او ٢٦٩ الموافق لـ ٧٨٥ او ٨٨٢ .
ولكن يبقى الابريق مثالاً هاماً للصناعة المعدنية في جنوب العراق خلال الفترة الأولى للعصر الإسلامي.
البصرة ٦٨٩ ـ ٧٨٥م. أو ٨٨٢ م.



صورة ٣٣

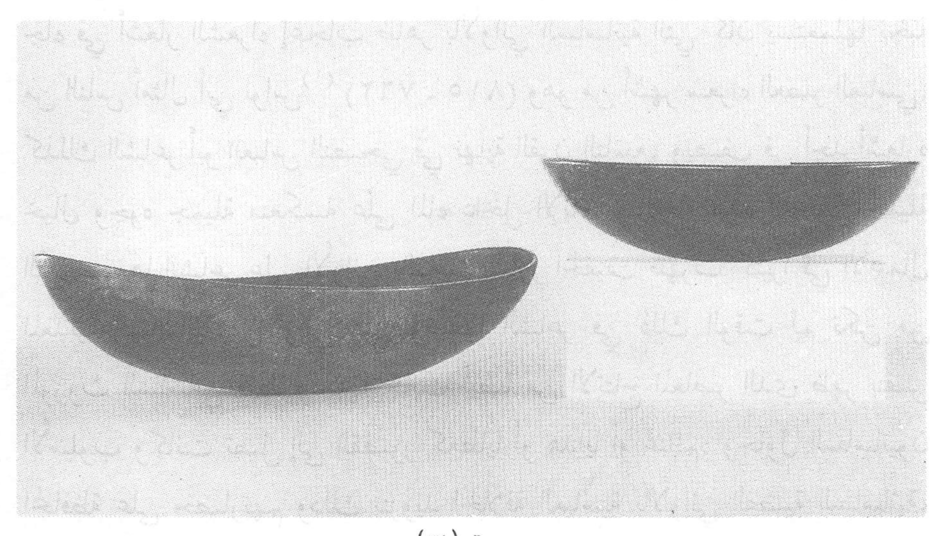
زبدية من الفضة مضاف إليها نحت بارز ونقوش، وقد شوهدت مثل هذه القطعة في خوارزم في القرن السابع. فالآلهة المتعددة الأذرع تمتطي أسداً هي نافا آلهة هندية محلية. وهناك خطوط نعلن عن التاريخ موجودة حول الحوافي الخارجية للزبدية. والتاريخ وفقاً للتقويم الخوارزمي ٧٠٠ الموافق في ٦٥٨ م.

القطر ١٢,٤ سم خوارزم ٦٥٨ م.

لديها، وكان عليها أن تنتظر حتى الحكم الفاطمي لمصر. (٩٠٩ - ١١٧١) حيث استعادت وضعها الاقتصادي الجيد وانتعشت صناعة المعدن، ولكن لم تصدر الأعمال المعدنية المصرية عبر البحر الأبيض المتوسط قبل القرن التاسع عشر.

- إيران والعراق -

تعد الأواني الفضية المنتجة داخل الامبراطورية الساسانية من أفضل الأعمال المعدنية التي صنعت في العالم. فتلك الأدوات الملكية التي كانت تستعمل في



صورة (٣٤)

زبديتان للشرب من البرونز المطروق احداهما نصف كروية والأخرى على شكل القارب وذات مظهر غامق لامع ولكنها بالأصل ربما كان لها بريق المعدن الغالي.

الطول ٢٣,٥ سم و١٥,٢ سم

خوارزم القرن السابع والتاسع الميلادي.

الولائم مثل الأواني والأباريق والقوارير والأقداح والزبادي والصحون المزخرفة بصور الملك أو مشاهد ملكية، صورة (٢٥)، في المناسبات والاحتفالات والرقص كانت تصنع من الصفائح المطروقة ومزخرفة زخرفة بارزة. وفي بعض الأحيان كان يتم سكب قطع تضاف إلى القطعة الأساسية، أما التفاصيل فقد كانت تضاف بتقنية الحفر أو النقش ولكن خلافاً للأعمال المعدنية البيزنطية لم تكن هذه الطريقة الوحيدة للزخرفة أما الخط فقد كان نادراً جداً.

أما الصور الملكية الواضحة على تلك الأواني فقد راقت للحكام المسلمين فالتقليد الإيراني القديم البسم (Bazm) او الوليمة الملكية التي كانت تتضمن الاحتفالات والرقص والغناء وأمور أخرى، وقد استمرت أثناء حكم الدولة الإسلامية من خلال العديد من الأمثلة لأوانٍ تضمن صورها هذا الكتاب، صورة

(٣٠) كما يظهر أيضاً من خلال الأشعار التي نظمت في العصر العباسي حيث جاء في أشعار الشعراء إعجاب ظاهر بالأواني الساسانية التي كان يستعملها نخبة من الناس أمثال أبي نواس[1] (٧٦٢ - ٨١٥) وهو من أشهر شعراء العصر العباسي. كذلك الشاعر أبو العباس النصحي في نهاية القرن التاسع، ويصف في أحد أشعاره خيال وجوه جميلة منعكسة على الماء داخل الإناء. وبالفعل هده الوجوه الجميلة التي صورها الشاعر على الأواني بالنحت البارز الخفيف ظهرت كثيراً في الأعمال المعدنية الساسانية. والأواني التي وصفها الشاعر في ذلك الوقت لم تكن من الموروث الساساني فقط ولكنها كانت أيضاً من الانتاج المعاصر الذي ظهر بنفس الأسلوب وكانت تصل إلى القصور كعطايا أو هدايا أو غنائم. وحاول الساسانيون المحافظة على حضارتهم وذلك بتزويد الخلافة العباسية بالأواني الفضية الساسانية، وبنفس الأسلوب الفني الذي كانوا يرسلونه للخلافة الأموية، فالزخرفة كانت سهلة وبسيطة وشبيهة بالخطوط صورة (٢٩ - ٣٠) والمحتويات التي تزدحم بها الآنية لم تصل إلى التأثير البسيط المقدّس للصور السابقة ولكنها احتوت على العديد من التفاصيل عن العادات المحلية بالمقارنة مع السلع الساسانية.

وسيكون من الخطأ إعطاء انطباع أن العباسيين قد قدروا فقط أواني الحضارات الأخرى التي سبقتهم، فحوالى القرن التاسع كانت الحضارة الإسلامية قد كونت هويتها الخاصة. فقد جذبت بغداد الشعراء والموسيقيين والصناع المهرة من جميع أنحاء الدولة الإسلامية، وأصبحت فيما بعد مركزاً للفنون في العالم الإسلامي وفقاً لما كتبه مؤرخو القرون الوسطى. فقد كان الخليفة وحاشيته يأكلون في أوانٍ ذهبية وفضية مطعّمة بالجواهر. وأغرب ما كان تلك الشجرة المكونة فروعها من الذهب والفضة والعصافير المنحوتة والمثبتة على الفروع وكانت تزين «إيوان

---

(١) أبو نواس: هو الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، شاعر العراق في عصره، ولد في الأهواز سنة ١٤٦ هـ الموافق ٧٦٣ م، وتوفي سنة ١٩٨ هـ الموافق ٨١٤ م

الشجرة» في عرس بوران[1] الخليفة المأمون عام ٨٢٥ . ربما كانت هذه الحقائق مبالغاً فيها أولاً... إلا حياة أن العباسيين في بغداد أصبحت أسطورة، فقد وضعوا مقاييس النظام الملكي خلال الحكم الإسلامي[2].

ومن الأمثلة التي ما زالت إلى الآن من الأشياء الفطرية التي يتمتع بها سكان القصور هو إبريق كبير رائع على شكل طائر. (صورة ٣١) الشكل الحيواني لهذا الإبريق وواقعيته وأجزاء جسمه مثل النظرة الشريرة والمنقار والمخالب، كلها أشياء تشير إلى ارتباط الأسلوب الكلاسيكي القديم، ولكن ذلك الطير ليس من فصيلة معروفة، والزخرفة التي لا تمت معظمها بصلة الى شكل الطير الحقيقي أصبحت سمة الصناعة المعدنية الإسلامية، وبخاصة الخطوط المكونة الواضحة حول الرقبة.

وأما الإبريق الذي يقال ـ من خلال المخطوطات ـ أنه صنع في البصرة. يشير إلى فإنه صناعة محليّة للسكب ذات نوعية جيدة كانت في العراق خلال السنوات الأولى من العصر الإسلامي (صورة ٣٢). وعلى الرغم من ذلك. فقد اشتهرت بغداد بالدرجة الأولى بصناعة السّيراميك فقد كانت لدى صناع العصر العباسي مهارة في صنع السّلع الفخارية الجيدة والتي كانت تضاهي صناعة البورسلين في ألوانها الزاهية وزخرفتها. وكذلك اشتهر صناع الزجاج المحليين وكانوا يصدرون سلعهم إلى جميع أنحاء الدولة الإسلامية وما وراءها أيضاً. وكمية الصحون والزبادي، الكؤوس الفخارية التي بقيت إلى يومنا هذا، تشير إلى أنه كان يفضل استعمالها على الأواني النحاسية، إذ كان الزبون غير قادر على تقديم الذهب والفضة. طبعاً.. إلا إذا كان الشيء المراد تصنيفه كبيراً جداً غير قابل للتصنيع بواسطة الفخار.

---

(١) بوران: هي بوران بنت الحسن بن سهل، زوجة المأمون العباسي، من أكمل النساء أدباً وأخلاقاً، اسمها (خديجة) وعرفت ببوران، ولدت سنة ١٩١ هـ الموافق ٨٠٧ م، وتوفيت في بغداد سنة ٢٧١ هـ الموافق ٨٨٤ م.

(٢) قيل: ليس في تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ما أنفق في زفافها على المأمون سنة ٢٠٩ هـ، وللشعراء في وصف تلك الليلة شعر غير قليل. انظر: وفيات الأعيان: (٩٢/١) ومروج الذهب: (٦٥/٧-٦٧).

المقاطعات الشرقية

كان لدى المقاطعات الشرقية في الدولة الإسلامية صناعة معدنية قوية، وقد وجدت في أماكن المصادر المحلية الكبيرة معادن بما فيها الذهب والفضة والتي كانت ترسل إلى قصر الخلافة في دمشق وبغداد في العصر الأموي والعباسي وخاصة في المنطقة الشرقية من نهر «Oxus» أو أموداريا والتي تعرف ببلاد ما وراء النهر عندما أصبحت تحت رعاية الدولة الإسلامية.

كان بعضها يؤخذ على سبيل الغنيمة عندما فتح المسلمون تلك المناطق في منتصف القرن السابع، وقد ذكر ذلك مؤرخو ذلك العصر وكانت تتضمن الزبادي المنقوشة من الذهب والفضة تتضمن تماثيل للآلهة من الذهب أو الفضة الزبدية الصغيرة (صورة ٣٣) المزخرفة برسم نانا آلهة الحضارة الهندية.

أما الولاة الذين كانوا يتولون الحكم في تلك المناطق بأمر من الخليفة، فقد كانوا يأمرون الصنّاع المحليين بصنع أعمال معدنية أخرى، فقد ذكر الطبري أن نصر بن سيار[١] والي خراسان أمر بصنع أباريق من الذهب والفضة لتكون كهدية ترسل إلى الخليفة الوليد بن يزيد عام ٧٤٢ .

كما أن علي بن عيسى بن ماهان والي آخر على خراسان أرسل للخليفة هارون الرشيد عدداً من الجواري التركيات تحمل كل واحدة قدحاً من الذهب أو الفضة. كما أن قصر الحير الغربي، وهو أحد القصور الأموية في الصحراء. رسمت فيه صور العازفات وتمثل الصور إبريقاً بجسم بيضوي ومئزاب (بزبوز) عريض وهو النوع الذي كان معروفاً في خراسان، وربما كان مثالاً عن الهدايا التي كانت ترد من تلك المناطق التي ذكرناها.

---

(١) نصر بن سيار: بن رافع بن حَرّي بن ربيعة الكناني، أمير، من الدهاة الشجعان، كان شيخ مضر بخراسان، ووالي بلخ، ثم ولي إمرة خراسان سنة ١٢٠ هـ. ولد سنة ٤٦ هـ الموافق ٦٦٦ م، وتوفي بسادة سنة ١٣١ هـ الموافق ٧٤٨ م.

كما كانت تلك المنطقة تنتج الأقداح الرائعة والزبادي والأباريق من البرونز. كتب البيروني في القرن الحادي عشر عن محمد بن طاهر[٢] والي خراسان (٨٦٢ ـ ٨٧٢) أنه كان يشرب من قدح من البرونز. ربما كان يوجد شبيه له في آنية موجودة في المتحف البريطاني. ومعلوماتنا عن منتجات معدنية أخرى في ذلك الوقت قليلة (صورة ٣٤) وربما كانت بعض الأشياء التي تنسب إلى القرن العاشر والحادي عشر كانت أقدم من ذلك بكثير.

بعد حوالى ثلاثمائة عام من الحكم الإسلامي، بقيت الصناعات المعدنية التي تعود إلى العديد من دويلات الدولة الإسلامية، على ما هي عليه من الامتياز. وبالفعل فإن المشكلة الرئيسة هنا التمييز بين الأعمال المعدنية التي تعود إلى العصر الإسلامي وتلك التي تعود إلى العصر ما قبل الإسلامي. على الرغم من ذلك فإن الأسلوب الإسلامي الجديد كان يناسب كل الأوساط الشعبية وقد تطور في العراق خلال القرن التاسع وبالتدريج انتشر إلى الخارج من قلب الخلافة العباسية ثم قُلدت هذه الصناعات على يد صناع المناطق المتواجدة على أطراف الدولة الإسلامية. وتأثيرها على صناعة المعادن أصبح أكثر وضوحاً خلال القرون اللاحقة.

---

(٢) محمد بن طاهر: بن عبد الله بن طاهر بن الحسين النزاعي أمير خراسان، ولي خراسان بعد أبيه سنة ٢٤٨ هـ توفي في بغداد سنة ٢٩٨ هـ الموافق ٩١١ م.

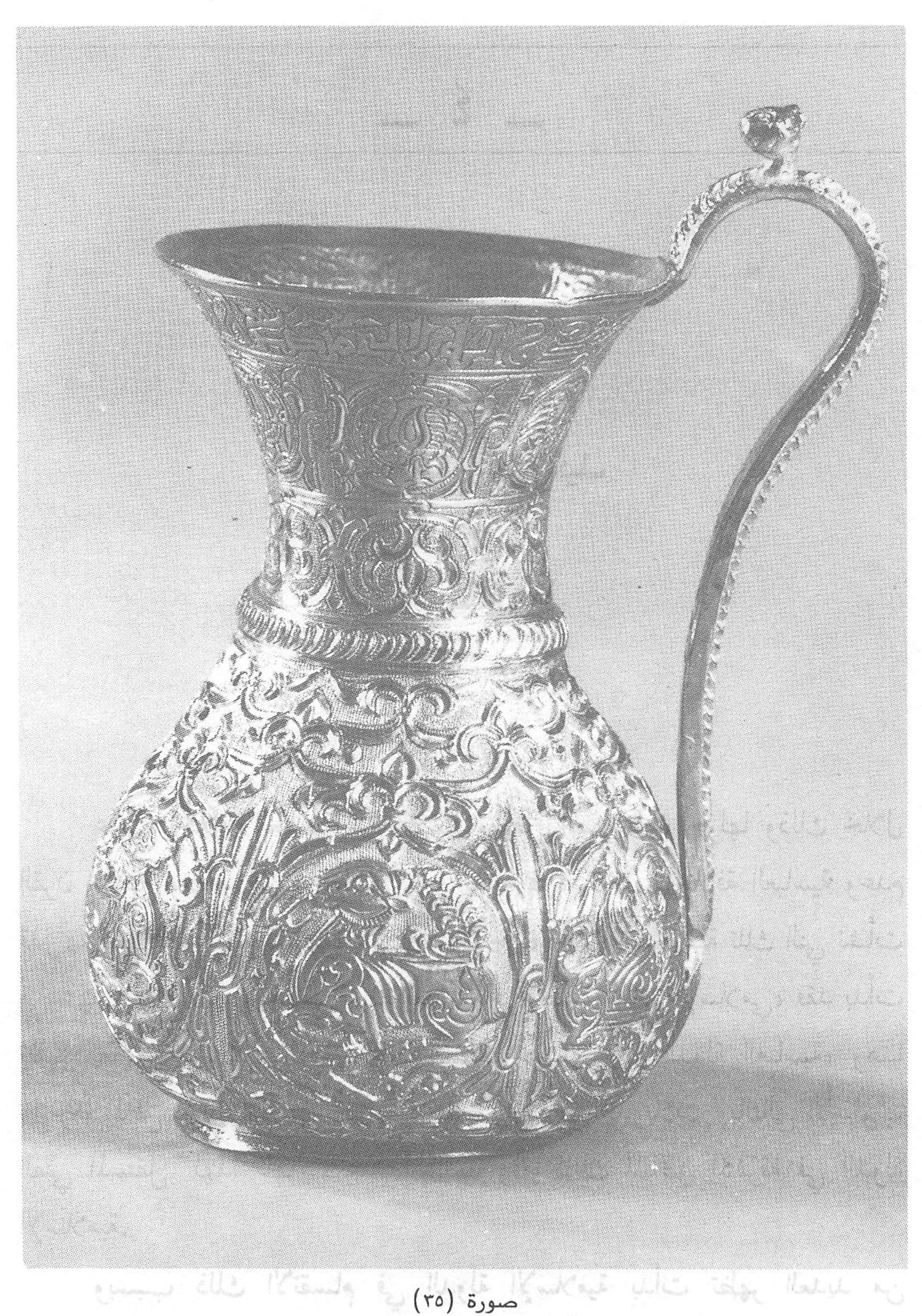
ـ ٤ ـ

الاسلوب الجديد

٩٠٠ ـ ١١٠٠

عانت الخلافة العباسية من الضيق وبعض الصراعات حولها وذلك خلال القرن التاسع ونهاية القرن العاشر. ومع بداية فترة ضعف الخلافة العباسية وعدم قدرتها على التحكم والسيطرة على جميع أجزاء الخلافة وبخاصة تلك التي نشأت في عهد الخلافة العباسية القوية، لم تعد بغداد عاصمة العالم الإسلامي، فقد بدأت تظهر بعض الدويلات التي أخذت تستقل بنفسها عن الدولة العباسية، وهذا ما جعل لكل دويلة أسلوب حياتها المختلف عن باقي الدويلات وبالتالي الأسلوب الفني المستقل. لهذا ظهرت عدة أساليب وفقاً لتلك المناطق المتفرقة في الدولة الإسلامية.

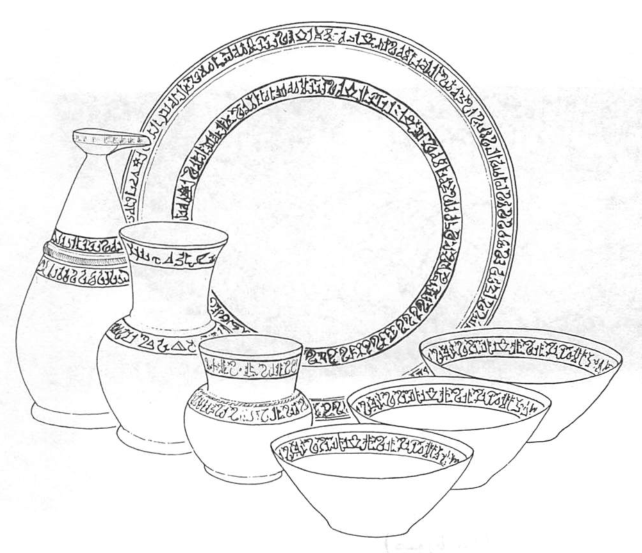
وبسبب ذلك الانقسام في الدولة الإسلامية بدأت تظهر العديد من الاتجاهات والميول الفنية أولها في العراق. والاتجاه الأكثر وضوحاً هو تزايد استعمال الخط العربي في الزخارف الفنية. ابتهالات دينية وفي بعض الأحيان، وأسماء وألقاب مقتني هذه الأعمال المعدنية ظهرت بالخط الكوفي وبخاصة على أعمال من



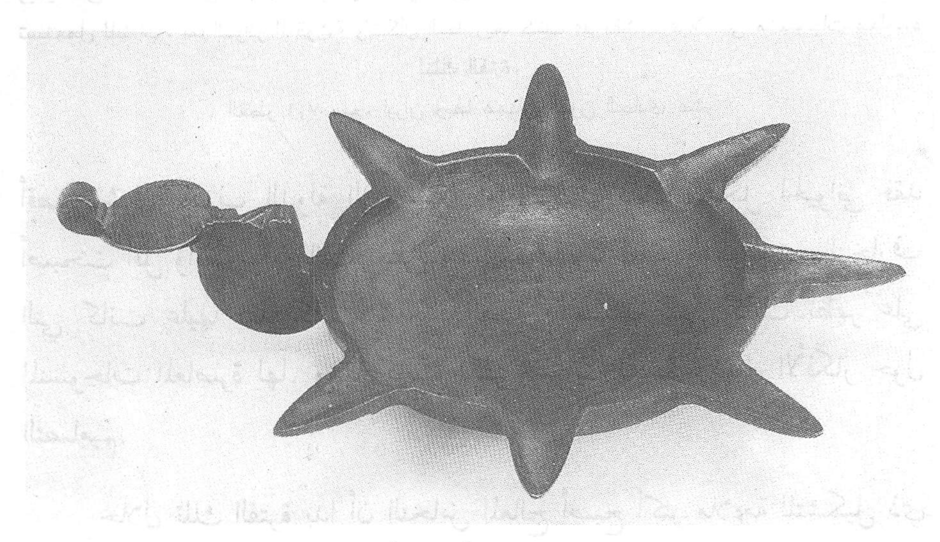
صورة (٣٥)

إبريق من الذهب بزخارف بارزة ومنقوشة لعصافير وحيوانات مؤطرة بمناطق مسطحة، وعلى حلقة يستند الابريق بها على الأرض نرى اسم ولقب حاكم البويهيين عز الدولة بختيار ابن معز الدولة (٩٦٧ - ٩٧٨) قد كتب بالخط الكوفي حول الحافة.

الارتفاع ١٣ سم بغداد (٩٦٧ - ٩٧٨)



صورة ٣٦ - رسم لمجموعة من أواني الولائم الفضية مزخرفة بالنقوش والخطوط والأفاريز المخططة. تحتوي على تباريك واسم صاحبها. أمير ابو العباس والكين بن هارون. وثمة أوانٍ أخرى من نفس الكنز (ليست مرسومة) لا تحمل اسم صاحبها ولكن يمكن أن تكون قد استخدمت إلى جانب هذه الأواني المبينة بالشكل والتي أُمر بصنعها بشكل خاص. الارتفاع (صينية: ٣٧ سم شمال غرب إيران ١٠٠ م.)



صورة ٣٧ (ص ٥٥)

مصباح زيت او سبع فتائل مصنوعة من البرونز المسكوب، وقد تم العثور على العديد من المصابيح المشابهة له في كيش. شكل الصحن المفتوح والمقبض غير العادي يجعلنا ننسبها الى المصابيح الحجرية التي صنعت في العراق منذ العصر العباسي.

الطول ٢٧,٨ سم. العراق. القرن العاشر والحادي عشر.



(صورة ٣٨)

زبدية من الذهب. من كنز وجد في نهاوند في غربي إيران، نقشت على حوافه قصيدة تؤكد انها كانت تستعمل للشراب. اما الدوائر المنقوشة واشكال البط ربما كانت قد نقشت قبلاً على منسوجات معاصرة لتلك الفترة.

القطر ٧,٦ سم. إيران ربما همدان القرن الحادي عشر

أقصى شرق وغرب الدولة الإسلامية، أما الأشياء ذات الشكل الحيواني فقد أصبحت أقل واقعية وقد باتت تغطى بتصاميم منقوشة، أما المخطوطات والزخارف التي كانت عليها فقد كانت شديدة الصلة بالتصاميم التي كانت تظهر على المنسوجات المعاصرة لها. وربما كانت أكثر القنوات أهمية لإصال الأفكار حول التصاميم.

خلال تلك الفترة بدا أن النحاس المعالج أصبح أكثر ملاءمة للتشكيل ذي النوعية الجيدة.. فهو رخيص، ودائم، قوي وسهل الانتاج بكميات كبيرة، ولكنه لم يكن ذات جمالية عالية. الذهب والفضة كانا متوفرين نسبياً ولكنهما كانا أكثر أهمية بالنسبة لصُنّاع المعدن الأساسيين، أما صنّاع الفخار المسلمون وصنّاع الزجاج فقد طوروا مجموعة من المنتجات التي شكلت فرصاً جديدة للنحاس، كبديل لذلك المعدن الغالي. أما السّلع البرّاقة التي سلبت البريق المعدني للذهب والفضة والسّلع البيضاء من البورسلين الصيني فقد أصبحت شائعة في ذلك الوقت،



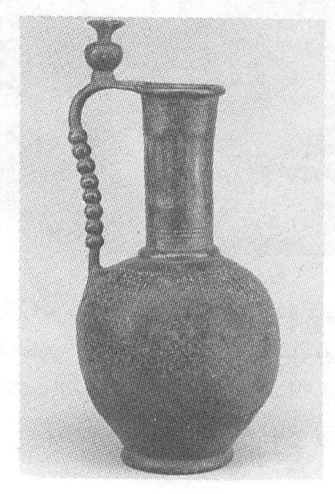
صورة ٣٩

قارورة من الفضة بزخارف منحوتة. إن اسم وزير بلخ شيخ الحميد ابو علي احمد بن محمد بن شازان قد نقش عليه بالخط الكوفي حول جسم القارورة يفصل بينها حيوانات في دوائر. وهناك خط كوفي اغلظ على الكتف يضم تباريك، ويمكن اضافة اسم الوزير بعد ان يتم شراؤه.
الارتفاع ٢٥ سم بلخ (١٠٣٠ ـ ١٠٥٠)

صورة (٤٠)

زبدية من الفخار مرسومة تحت طبقة واضحة من طلاء الخزف، الخطوط المستقيمة والغامقة للخط العربي على حواقي الصحن البيضاء هو تقليد للأدوات الفضية المزخرفة بطريقة الحفر.

القطر ٣٤,٦ سم نيسابور القرن الحادي عشر



صورة (٤١) إبريق من النحاس المسكوب بزخارف كثيفة منقوشة. وهو من ادق الأشياء المعدنية التي وجدت اثناء التنقيب في نيسابور، الشكل يعود إلى تلك الأباريق الفضية المصنوعة من الصفائح المعدنية (انظر الشكل ٢٨) شكل العنق وقد صمم لتقوية موضع اتصال الصفائح المعدنية للابريق، وهي غير ضرورية هنا لأن الابريق قد سكب والمسكة (المقبض) التي تبدو انها قد اضيفت وسكبت في الواقع مع الابريق. الارتفاع ٣٧,٥ سم نيسابور القرن الحادي عشر.

صورة (٤٢)

سطل من النحاس بزخرفة منقوشة يمثل تسابق الحيوانات وكلمات تباريك في الحلقة السفلية للسطل. اسلوب هذا السطل مشابه لاسلوب اعمال نيسابور في الابريق انظر الشكل ٤١ . واشياء مثل هذه لا بد وانها كانت تستعمل ايضاً للوضوء. حجم هذين الشيئين وغرض استعمالهما يجعل من الفخار بديلاً غير مناسب للصنع. ولكن اصحاب البيوت الأغنى ربما كانوا يملكون نسخاً منها. صنعت من الفضة أو الذهب.
الارتفاع ١٥ سم خراسان القرن الحادي عشر



صورة (٤٣)

قوارير من النحاس المسكوب المزخرف ببروزات على الشكل اللوزي. هذه القوارير الصغيرة شبيهة بتلك التي استعملت في حمامات الزيت لدى الرومان، وربما انه كان لها نفس الاستعمال. ولا بد ان للبروزات التي عليها دوراً هاماً في عملية المسك اثناء الاستعمال.
الارتفاع من ١٢ إلى ١٣ سم افغانستان القرن العاشر والحادي عشر.



صورة (٤٤)
موقد (مجمرة) من النحاس المسكوب بزخارف مفتوحة وقواعد من قوائم الأسد
العرض ١٢,٥ سم خراسان القرن العاشر والحادي عشر

وكذلك أواني الزجاج الرقيقة التي سارت على خطى المهارات القديمة. وأصبح استعمال النحاس مقتصراً على أشياء محددة مثل الأباريق، وقواعد المصابيح والتي لم يكن بالإمكان صناعتها بالمواد سريعة الكسر. أو مثل الأشياء عملية. أو تلك التي ليس للمادة المصنوعة منها .أية أهمية، أو تلك التي تتطلب ثقل وقوة مادة المعدن.

تكرر هذا الوضع في جميع أنحاء الدولة الإسلامية وحيثما كانت تنتج تلك الأعمال الخزفية الراقية والبراقة، وهذا يساعدنا على معرفة كيف أن العدد القليل من السلع المعدنية النحاسية قد عاشت منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا. وأفضل السلع المعدنية النحاسية صنعت في خراسان حيث تتواجد المادة الخام للصناعة المعدنية وحيث الخبرة والمهارة الكبيرة بصناعها، بالمقارنة مع صناعة الفخار. ولكن حتى في خراسان فإن الأشياء الخاصة بالرفاهية مثل الشمعدانات ورشاش ماء الزهر (الورد) لم تكن تصنع من النحاس، وحتى عندما أصبح النحاس المطعم شائعاً ومعروفاً في القرن الثاني عشر.



صورة (٤٥)

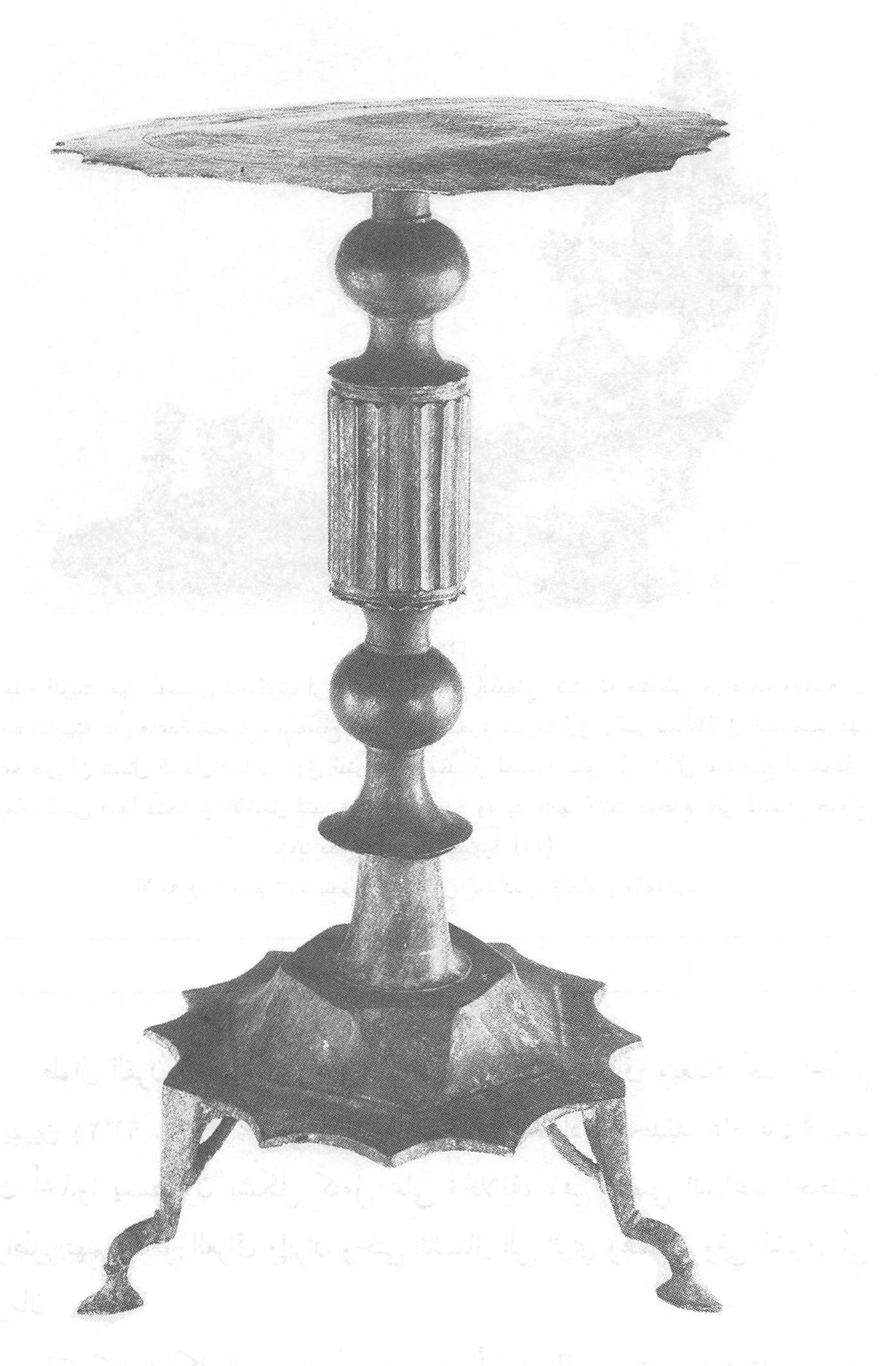
مصابيح للزيت من النحاس المسكوب او البرونز. المصباح القبطي الأكبر له مقبض مزخرف وفتحة في القاعدة لتثبيته على قاعدة مصباح. المصباح الفاطمي اصغر. جدرانه أرق وأكثر بساطة في التصميم على الرغم من ان شكل الرجل العاري فوق المنزاب في مقدمة المصباح تعود إلى شكل المصابيح المزخرفة القديمة. ليس فيها فتحة في الاسفل لتثبيتها على قاعدة ولا بد وانها كانت توضع على قاعدة مصباح مزود بصينية انظر صورة (٤٦).

الارتفاع ٢٠ سم ٥,٣ سم مصر القرن السادس والثامن والعاشر.

العراق وغرب إيران

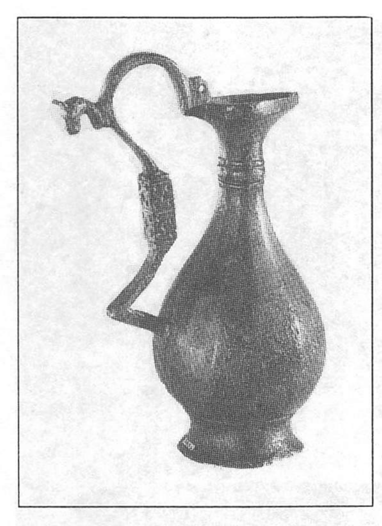
طوال القرن العاشر والحادي عشر تقريباً، كانت العراق وبغداد تحت الحكم البويهيين (٩٣٢ - ١٠٦٢) الذين دخلوا العراق وبغداد بالتحديد عام ٩٤٥ بعد ذلك أخذوا يسيطرون بشكل كامل على الخلافة، وفي أقصى اتساعها احاطت امبراطوريتهم بكامل العراق وإيران وحتى الشمال الى الري وهمدان وفي الشرق إلى كيرمان.

وقد كان الحكام البويهيين يأمرون بصنع أباريق الذهب (صورة ٣٥) منهم عز الدولة بختيار ابن معز الدولة (توفي ٩٧٨) وتظهر تلك الأعمال نوعية الصناعة المعدنية في القصر البويهي ويذكرنا النحت البارز والزخارف التي تمثل الأشكال



صورة (٤٦) (ص ٦٣)
قاعدة مصباح من النحاس المسكوب على مراحل (قالب مجزا) ويتكرر الشكل النجمي للصينية عند القاعدة في الاسفل. الارتفاع ٥٨ سم ـ مصر. القرن العاشر والحادي عشر

الحيوانية بالأعمال المعدنية الساسانية الرائعة. وطبعاً كان هذا عن قصد. فقد كان البويهييون يدركون كونهم ملوك إيرانيين وينحدرون هم أنفسهم من أصل ساساني. فالمعالجة غير الطبيعية لصور الحيوانات حيث أعطيت للأوراق والخطوط نفس التركيز البصري. مقدمين رؤية فنية جمالية جديدة.



صورة (٤٧) (ص ٦٤)
إبريق من النحاس المسكوب يمتاز بغرابة المقبض ويمثل مستطيلاً شغل بالزخرفة المفتوحة (المثقوبة) هذا الابريق أخذ من دير قبطي في مصر ولكن وجد مثيل له في صقيلية ولبنان ومالوركا واسبانيا.
الارتفاع ١٦,٥ سم ربما في مصر.
القرن التاسع والحادي عشر.

كالشكل هذا الابريق بجسمه المنفوخ والعنق الطويل والحوافي المفتوحة كان سائداً بالنسبة لأواني الشراب في جميع أنحاء الدولة الإسلامية. وربما كانت احدى الأواني التي كانت تستخدم في ولائم عز الدولة بختيار. وعلى الأقل بقي جزء منها في الكنوز الفضية الموجودة الآن في طهران وقد كتب على سبع أوانٍ مثلها، اسم ولقب الأمير أبي العباس والكين ابن هارون (صورة ٣٦)، والذي لم يذكر في الأصول. وهذا يعطينا فكرة عن مستويات الرقي بالنسبة لأدوات المائدة التي كانت مستعملة من قبل فرد واحد في أواخر القرن العاشر. فطبق التقديم الكبير كان يستعمل لحمل الأدوات الأصغر، وكان يستعمل أحياناً كطاولة لتوضع على قوائم منخفضة أو على الأرض. الزبادي الثلاث ويمكن أن تحتوي على الأطايب بما أن حوافيها المائلة تجعلها غير مناسبة كأواني للشراب، ومن المحتمل أنها كانت تستخدم للتقديم بحيث أن الخطوط المكتوبة عليها يمكن أن تقرأ من مسافة قريبة أما القدحان الكبيران وقد فقدت مقابضهما فلعلهما استخدما لملئها بالشراب أو بالماء من الابريق.

وتبدو الزخارف القاسية لتلك الأواني، الأفاريز المكتوبة بالألقاب والأدعية الدينية ذات صلة قوية بالأواني الفضية القديمة وكانت شديدة الشبه بها. صورة



صورة (٤٨)

إبريق وسطل من النحاس المسكوب. الابريق غير مزخرف اما السطل فهو منقوش بالخط الكوفي الدقيق. ويمثل تباريك وطومار من الرقش العربي. أواني مثل هذه لا بد وأنها كانت تستعمل أيضاً للوضوء. هذه الاشكال يمكن ان تقارن بالأشكال الفضية والبرونزية المصرية التي تعود إلى فترة ما قبل الاسلام.

الارتفاع (السطل) ١٢,٥ سم

(الابريق) ٢١,٥ سم مصر القرن العاشر والحادي عشر.

(٢٨) بحيث كانت تكتب عليها ألقاب أصحاب الأشياء الثمينة، وبالفعل فإن أسلوب الخط العربي يقارن بخطوط نقشت على الصخر يعود تاريخها إلى ٩٨٤ م و ١٠٠٣ م في شمالي غرب إيران على الحدود الامبراطورية المجاورة. وربما كانت أصول ذلك الأمير المذكور وصائغه من ذلك المكان.

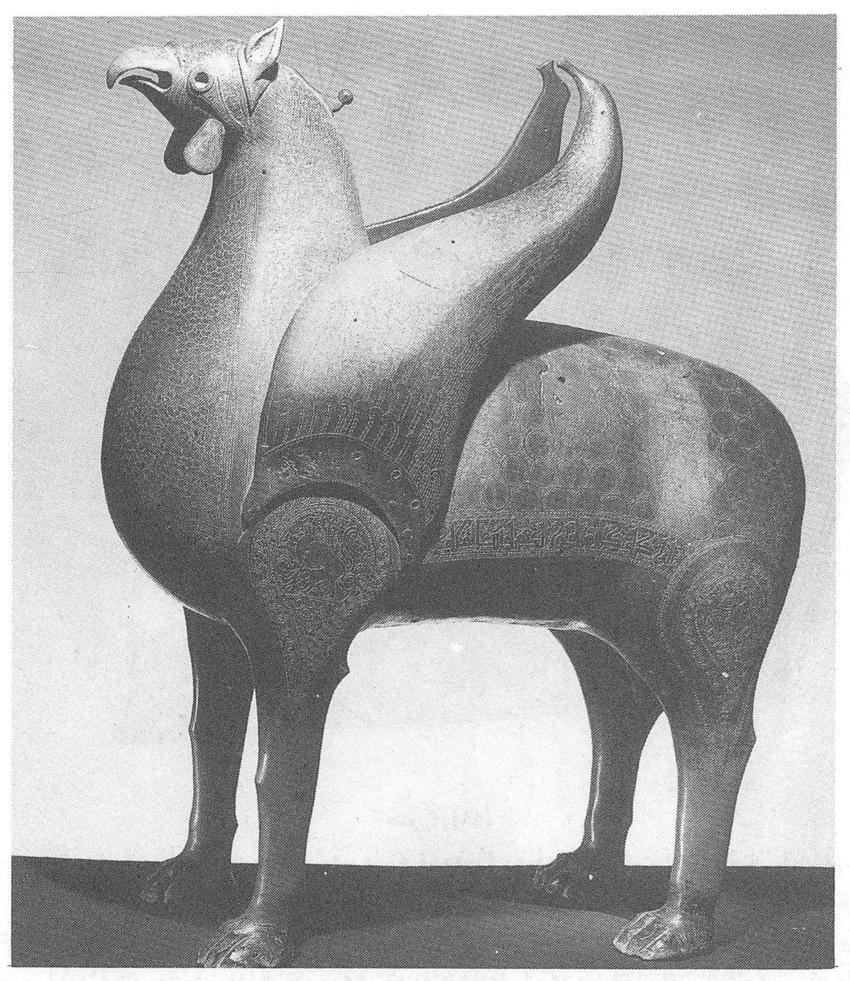
كما وجدت زبدية من الذهب في مدينة نهوند قرب همدان. وكان يملكها قائد عسكري آخر. صورة (٣٨) وقد وجدت مع أشياء مختلفة من الفضة المطعمة بالذهب مع لوازم الأحصنة من المعدن المنقوش، وأسلحة تتضمن إبزيم (بكلة) يحمل



صورة (٤٩)
شكمجية (علبة جواهر) فضية بزخارف بارزة ومحفورة ومطعمة صنعت لهشام الثاني قبل اعتلائه العرش بقليل عام ٩٧٦ . والتوقيع تحت الابزيم (البكلة) من قبل بدر وطريف. الشكل ينسخ الشكمجيات العاجية المنقوشة ذات الصنع الدقيق والتي كانت شائعة في القصر الأموي في اسبانيا وحتى المعادن الثمينة التي رصعت بها الشكمجية قد تم تقليدها على الرغم من انها ـ اي تلك المعادن ـ قد طبقت وهي بالأصل من نفس الصفائح الفضية التي صنعت منها الشكمجية نفسها.
الطول ٣٨,٥ سم قرطبة (٩٧٦ م)

اسم الأمير أبي شجاع انجوطكين وجميع الأشياء في ذلك الكنز، كانت صغيرة وسهلة التنقل وتناسب رجل حرب يسافر باستمرار. كما وجدت بعض الأشعار حول الحافة الخارجية للزبدية موجهة لابن الطمّار شاعر من القرن العاشر من واسط. ويشير إلى أن (الزبدية) صنعت للشراب.

ومعلوماتنا عن أهل الصناعة المعدنية عند البويضيين ناقصة، ولكن تزودنا مجموعة من مصابيح الزيت بحقائق هامة، وهي استمرارية تلك الصناعة من الأواني النحاسية المسكوبة في العراق. فمصابيح المساجد ذات الزخرفة المثقبة



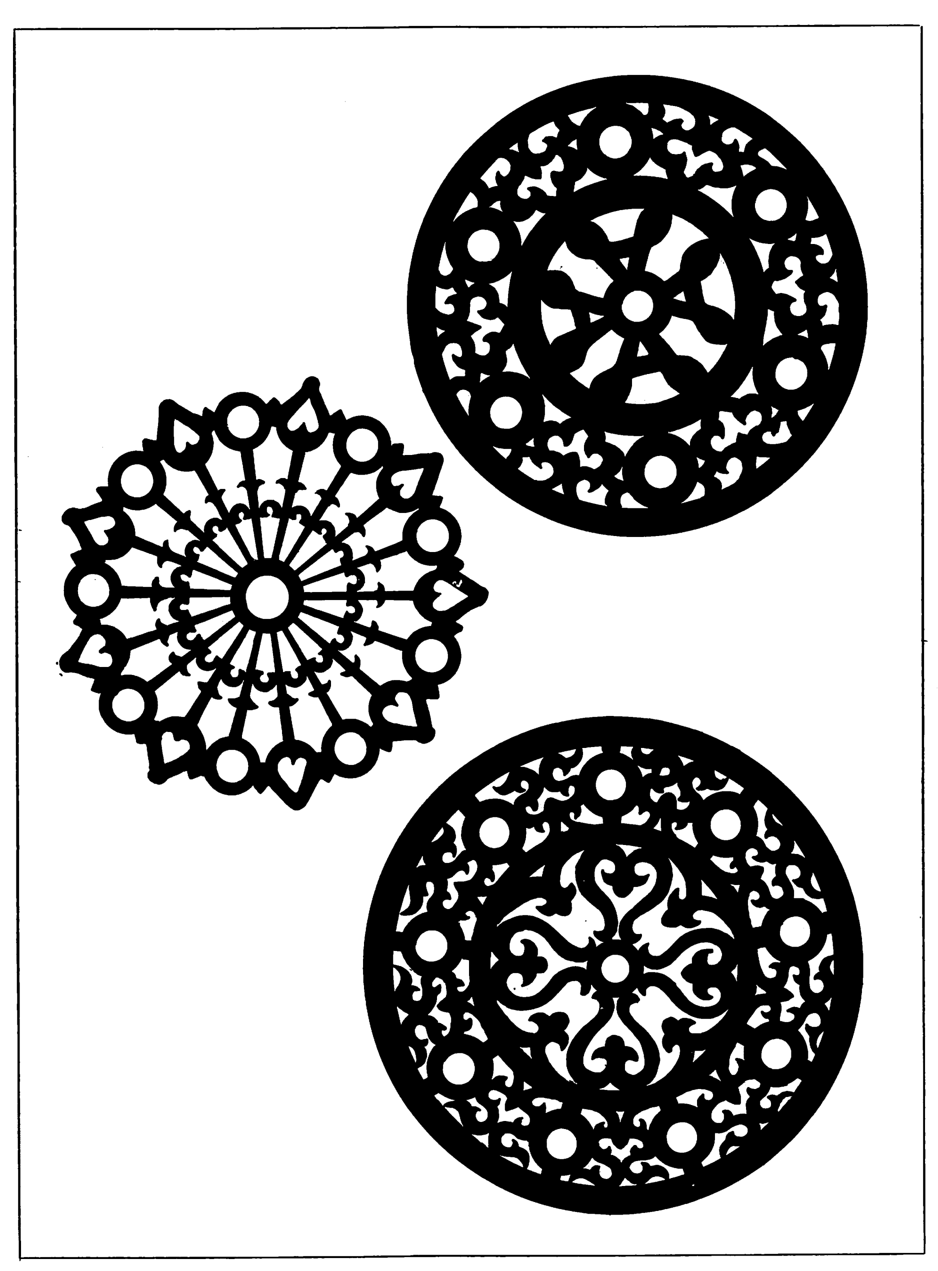
صورة (٥٠) ص (٦٧)

الغريفن (الحيوان الخرافي) من بيزا Pisa. حيوان خرافي. سكب من النحاس على اربع قطع. الذيل والجناحين (مفقودة) ومثبتة ببرشام معدني ومنقوشة بالتباريك وبالخط الكوفي وتصاميم اخرى. قضى هذا الحيوان أكثر من اربع قرون واقفاً في كتدرائية بيزا يُعتقد أنه صنع في إيران او صقيلية او شمال افريقيا او مصر أو اسبانيا. ومنشاه بقي الى الآن مجهولاً.

الارتفاع ١,٧ سم مصر. اسبانيا (؟)

القرن الحادي عشر.

والخطوط، بالإضافة إلى التصاميم الهندسية، كانت تصنع أيضاً في الإمبراطورية البويهّيية (صورة ٣٧) وبعض القطع المكسرة التي وجدت في الري صورة (٢) وعلى الرغم من ذلك فإن تلك الأشياء كانت من النوع القديم الذي كان منتشراً خلال حكم الدولة الإسلامية. وقد وصلت إلى أقصى غرب تونس. ولا بد أنها



صورة (٥١) ص ٦٨

رسم لثلاثة ادوات للاضاءة. وهي جزء من موروث كبير للوازم الإضاءة وجدت في مخزن المسجد الكبير في القيروان. وهي ضمن مصباح المسجد باسم المعز بن باديس من بني زيري. (١٠١٥ - ١٠٦١) وقع عليه الصانع محمد بن علي القيس الصفار ولا بد انها كانت تثبت مع مصباح زيت زجاجية مجوفة وتعلق من سقف المسجد - القطر ٣٠ - ٣٤,٥ سم.

القيروان تونس القرن التاسع - الحادي عشر.

كانت نسخ من المصابيح الذهبية والفضية التي وضعها مؤرخو ذلك العصر وقد كانت تعلّق في المساجد الهامة والأضرحة المقدسة.

وصف الناصر خسرو[1] Nasiri khusraw مسجداً في القدس «حيث علّقت العديد من المصابيح البرونزية والفضية والمشتعلة طوال الليل».

وهناك دلائل كثيرة تمكننا من أن نستند عليها عندما نذكر الانتاج الثابت للسلع النحاسية في العراق وغرب إيران خلال القرن العاشر والحادي عشر ولا شك تلك كانت تُكمل بالزجاج المحلي وبالأواني الفخارية وبالأعمال المعدنية المستوردة من خراسان كما كان يحدث في القرون السابقة.

المقاطعات الشرقية

حصلت المقاطعات الشرقية التابعة لحكم الدولة الإسلامية على بعض الاستقلالية عن بغداد في القرن التاسع. والولاة المحليون وخاصة السمانيون في سمرقند وبخارى والغزنويون في غزنه الذين أسسوا قصوراً توازي تلك التي في بغداد كانت كمراكز للثقافة والعلم. وكانت تلك المنطقة من المصادر القوية للصناعة المعدنية تؤكد أن أدق الأعمال المعدنية في العالم الإسلامي قد انتجت داخل منطقة نفوذ حكم البويهيين وقد نقل الغرديزي رخاء وترف قصورهم عندما كتب في منتصف القرن الحادي عشر يصف وليمة أقامها محمود الحاكم الغزنوي.

«أقيمت الوليمة بشكل رائع، ازدان المكان بزهور عطرة وفواكه لذيذة وجواهر وأواني فضية وذهبية للطعام وأباريق من الكريستال ومرايا وأشياء أخرى رائعة».

وكانت بلخ كذلك إحدى المراكز الهامة للصناعة المعدنية في ذلك الوقت والواقعة قرب جبال بانجهير (Banjhir) (خمس جبال) والذي استخرج منها الفضة

(١) ناصر خسرو، هو رحالة فارسي، أطلق على اسمه أكبر شارع في العاصمة الإيرانية ـ طهران .. وهو شاعر من بلخ، إسماعيلي المذهب (١٠٠٣ ـ ١٠٨٨)م. كان من أقطاب الأدب الناري، له كتاب سفر نامة جمع فيه جميع رحلاته.

بوفرة وبالفعل وصفت جبال بانجهير من قبل كُتاب القرون الوسطى باسم جبال بلخ الفضية، وفيها عاش صُيَّاغ الفضة في حي منفصل عن المدينة وكان لهم مسجدهم الخاص. إحدى الزمزميات التي صنعت لوزير في بلخ عام ١٠٥٠ (صورة ٣٩) تظهر بساطة الزخارف المنقوشة عليها، وهناك مجموعة متشابهة لتلك في الاسلوب محفوظة في متحف الإرميتاج ويمكن أن تنسب لبلخ.

غزنه مركز آخر هام من مراكز صياغة الفضة وحسب من أورده ناصر خسرو فقد زودت هذه المنطقة الكعبة في مكة المكرمة بحلقات كبيرة من الفضة للأبواب. إن تنوع الأعمال الفضية في ذلك الوقت يجعلنا نعتقد أنه كان هناك عدد من المراكز الكبيرة لتلك الصناعة. فقد وجدت في كنوز هراري ثلاثة من الأواني الفضية التي ترجع إلى وجدت في شمالي إيران (صورة ١٦)، وتظهر نوعية وتنوع تقنيات صناعة الفضة التي كانت متوفرة في ذلك الوقت، وكان من الصعب معرفة منشأ وتاريخ تلك الأواني ولكنها بالتأكيد تنتمي إلى تواريخ وورش مختلفة (انظر الجزء الثاني). وعلى الرغم من ذلك يمكن أن يكون عدد من هذه الأشياء ذا علاقة بالسلع المعدنية ذات النحت البارز من هرات Herat. ويمكن أن تكون قد صنعت في ورشات موجودة في المقاطعات الشرقية في القرن العاشر والحادي عشر الميلادي.

وقد عرفت أعداد كبيرة من الأواني النحاسية من تلك المنطقة. ربما لأنها كانت متقدمة جداً في هذا المضمار. على الرغم من ذلك فإن الحفريات التي جرت في نيسابور شرقي إيران، أظهرت أنها من المعدن المنخفض القيمة نسبياً. وثمة أشياء بيتية وجدت أيضاً وتتضمن لوازم أثاث ومعمار وأوانٍ مطبخية، وأدوات تجميل ومصابيح وأباريق. كما وجدت مقابض للمصابيح بزخارف منقوشة ومثقوبة وإبريق مسكوب كبير (صورة ٤١)، كذلك وجدت أدوات معدنية أخرى بسيطة، ويظهر أنها كانت للاستعمال الخاص والأعمال المنزلية. على سبيل المثالُ اكتشفت سبعة أباريق مكونة من الصفيح بزخرفة موجودة على العنق فقط. ولم تكتشف أدوات نحاسية للمائدة. والأواني المعدنية الوحيدة التي وجدت كانت زبديتان من

الرصاص، ولا بد أنها كانت رخيصة وهي تقليد للأواني الفضية. وعلى العكس فقد أسفرت الحفريات عن وجود أعداد كبيرة من الزبادي الفخارية. الصحون والأباريق وأوانٍ أخرى. ولا بد وأن سكان نيسابور كانوا يفضلون استعمال الفخار المحلي (صورة ٤٠) بالخطوط الزخرفية والتصاميم الجميلة المستلهمة من الأواني الفضية حيث لم يكن باستطاعتهم الحصول على تلك المادة الفاخرة.

أما الأواني النحاسية التي كانت تنتج في ذلك الوقت، فقد كانت جميعها مسكوبة ولكن ثمة معالجتين مختلفتين لتشكيل المعادن وكانتا واضحتين. الأولى، استغلال حسنات تقنية السكب لأشكال نحتية قوية وأحياناً هندسية، وبشكل عام بإضافة بزخارف على السطح. يضم هذا الاسلوب مجموعة من الأواني المزخرفة ببروزات بسيطة على شكل اللوزة، وقوارير على شكل الإجاصة، وكانت شائعة (صورة ٤٣)، وكانت تنتج أيضاً بعض القوارير لحفظ العطورات أو المباخر. وتعطي البروازات المضافة القطعة وزناً إضافياً وقوة.

أما المعالجة الثانية فقد كانت تقليد أشكال الصفائح المعدنية المطروقة وخاصة الأواني الفضية والذهبية، مع بعض الإضافات على السطح، لتعطي التأثير الأكبر. ولقد أنتجت أوانٍ ملفتة للنظر فعلاً محلاة بالزخارف الكثيرة لإخفاء وسيلة الصنع المتواضعة. وعلمت الإنخماصات والخطوط السطح الناعم للأواني وزودته بطريقة زخرفة الدوائر والأفاريز، بالأشكال والنقوش، وقد بدأت تظهر أفاريز أوسع في القرن الحادي عشر، تصور الحيوانات، وقد صممت بأساليب مختلفة ومتنوعة (صورة ٤١ - ٤٢) وكانت تلك السلع النحاسية الملهمة لاستعمال التطعيم في المعدن.

تشكل الأشياء التي تضم زخارف منبسطة وبشكل عام على شكل المسطحات الموصولة. أو أعمال التثبيت جزءاً من هذه المجموعة (صورة ٤٤) وتقنية التثقيب كانت تناسب الأشياء ذات الجدران الرقيقة من الصفائح المعدنية، وهكذا فإن تلك النحاسيات المثقبة يمكن أيضاً أن تخص السلع المعدنية النفيسة التي لم تعش حتى يومنا هذا. ويشير الخط الكوفي الموجود على تلك القطع الى القرن العاشر على الرغم من أن ذلك الأسلوب استمر إلى القرن الحادي عشر. وتتضمن

أنواع الأواني والمزهريات على قواعد مقببة وأكواب ذات فصوص وأباريق وقواعد مصابيح؛ ومباخر، وكان العديد منها على شكل حيوانات أولها قمم على شكل حيوان. صورة (٣).

أخيراً هناك مجموعة كبيرة من الأواني البرونزية صنعت في الأراضي الإسلامية الواقعة إلى الشرق. من المحتمل في غزنه عاصمة الدولة الغزنوية في منتصف القرن الحادي عشر كما كتب البيروني وأورد قائمة من الأشياء التي صنعت من البرونز المعالج في أيامه. مثل أواني الشرب وأباريق الماء والزبادي وأحواض الغسيل، صورة (٤). وهشاشة المعدن شجع على استعمال الثقوب المقببة. بالإضافة إلى تلك الأشياء، كانت ثمة أوانٍ تحمل خطوطاً منقوشة وحتى تصاميم شكلية.

مصر ـ سورية ـ شمال افريقية وإسبانيا

كان الفاطميون (٩٠٩ ـ ١١٧١) من أهم القوى في الأراضي الإسلامية الغربية خلال تلك الفترة. وانتشر نفوذهم أولاً في شمالي افريقيا وفي عام ٩٦٩ احتلوا مصر وأسسوا عاصمتهم في القاهرة ومن هناك توسعوا نحو الشرق إلى سورية والحجاز، على الرغم أن مصر بقيت قاعدتهم.

ساعدت تلك الاستقلالية مصر على استعادة بعض من أمجادها في التجارة مع الهند وأوروبا، والاستفادة من مناجم الذهب في أفريقيا، وذلك مما جلب الرفاهية والرخاء إلى القصر الفاطمي في القاهرة. وعندما سلبت تلك الكنوز في منتصف القرن الحادي عشر دهش الملاحظون بكميات الأواني والمفروشات المصنوعة من الذهب والفضة، وقد رصع العديد منها بالأحجار الكريمة، وكان من بينها ستة آلاف قارورة عطر من الفضة المطعمة بالذهب وشجرة ذهبية كبيرة ومجموعة من الدمى. وصف ناصر خسرو الذي زار بعض أجزاء القصر عام ١٠٤٦ عرش الذهب الضخم الذي كان يستعمله الخليفة الفاطمي، وكان يملأ

غرفة كاملة بعرضه وطوله، وكانت ثلاثة جوانب منه مصنوعة من الذهب ومزخرف بمشاهد للصيد، ربما تشابه المشاهد الحية المطبوعة على الفخار الفاطمي الفاخر، وبكتابات جميلة، وكذلك وصف الشمعدان الفضي العملاق الذي أمر بصنعه السُلطان، ولكبره فقد اضطروا هدم باب المسجد ليتمكنوا من إدخاله، ولسوء الحظ لم يبق من تلك القصور الفاطمية إلاَّ القليل، فقد أحرقت تلك الثروات عام ١٠٦٢ وسلبت من قبل الأيوبيين عندما احتلوا مصر وتم إبعاد الفاطميين عام ١١٦٩، وكل ما بقي من ذلك العصر مجوهرات صغيرة تمثل نوعية أعمال صياغة الذهب الفاطمي.

توارث الفاطميون صناعة السكب في شرق البحر الأبيض المتوسط، والعديد من الأواني النحاسية المنتجة خلال العصر الفاطمي تابعت أشكال ما قبل الإسلام. هذه الاستمرارية تجعل من الصعب التمييز ما بين تلك الأواني التي صنعت خلال العصر الاسلامي من تلك التي صنعت ما قبل الإسلام، وبخاصة عندما لا تحتوي على زخارف إضافية ولقد أوردنا شيئين هنا، صورة (٤٥ - ٤٧)، ظهرا مؤخراً في أقسام المتحف البريطانيا العديد.

والانطباع المسيطر علينا من رؤية تلك الأواني التي بقيت من العصر الفاطمي إلى الآن، هو أن صناعة المعدن المسكوب قد انحدر خلال القرون الأولى من الحكم الإسلامي على الرغم من أن الوضع قد تحسن في عهد الحكم الفاطمي، فقد واجهت صناعة النحاس منافسة كبيرة من السلع الفاخرة الذهبية والفضية والكريستال الصخري، وكانت المنافسة المباشرة والأكثر قوة من البديل الرخيص لتلك السلع وهو الفخار والزجاج أيضاً.

يمكن تصوير الوضع من خلال نوع واحد من الأواني. خلال القرنين الخامس والسادس صنعت في مصر كمية كبيرة من مصابيح الزيت (صورة ٤٥) المزخرفة زخرفة جيدة. لتلك المصابيح فتحة من القاعدة لتركب على قاعدة مصباح. وفي العصر الفاطمي لم يصنع إلا القليل من المصابيح وقد كانت أشياء صغيرة تافهة،

على الرغم من ذلك فقد ازداد عدد المصابيح الفخارية. أما قواعد المصابيح التي كانت سائدة فقد استبدلت بمنضدة (صورة ٤٦).

أما الأواني النحاسية التي بقيت إلى عصرنا هذا فهي تتألف من أشياء عملية بسيطة، وتتمثل بالقليل جداً من الزبادي أو أواني المائدة الأخرى. وعلى العكس، كان هناك أعداد كبيرة من الزبادي الفخارية من النوع الفاخر، ومن الصحون المزخرفة التي تمثل مشاهد حية أو كتابات، وأفضل الأشياء النحاسية هي تلك التي لم يكن بالإمكان صنعها من الفخار مثل قواعد المصابيح والمباخر وأباريق كبيرة وقساطل والأثاث، إضافة للقواعد الحيوانية ورؤوس البحرات، كانت تلك الأشياء تترك على ما كانت عليه قبل الإسلام. ولكن أكثر الأمثلة المثيرة للإعجاب كانت تنقش بالكتابات الكوفيّة والعصافير والحيوانات الصغيرة، أو بتصاميم هندسية. (صورة ٤٨).

كانت مصر أهم قوة في غرب الدولة الإسلامية، لذلك أنتجت أفضل الأعمال المعدنية خلال تلك الفترة، وعلى الرغم من ذلك كان هناك مراكز منافسة في الدول الأخرى التابعة للدولة الإسلامية حول حوض البحر الأبيض المتوسط. لقد كان أمويو قرطبة وأسلافهم في جنوب اسبانيا. (صورة ٤٩). من المشجعين للفن الراقي. وثمة أوانٍ من الذهب والفضة والنحاس قد عاشت إلى يومنا هذا كالكنوز التي عثر عليها في اسبانيا، إلى جانب العاج والنسيج والأشياء الراقية الأخرى. وبقايا الأشياء النحاسية التي وجدت في شمال إفريقيا تثبت أنه كان هناك صناعة سكب محلية في العديد من المناطق، حتى بعد أن انتقل الفاطميون إلى القاهرة (صورة ٥١).

لقد كانت هناك صلات تجارية وثقافية بين دول مختلفة حول محيط البحر الأبيض المتوسط، تماماً كما كان في القديم، ولهذا بات من الصعب تحديد أصول كل قطعة، فقد وجدت أوانٍ مشابهة في مصر وشمال أفريقيا واسبانيا (صورة ٤٧)، ويمكن أن تكون قد صنعت في مركز واحد وصُدّرت إلى العديد من المراكز. إذن من الأفضل أن نقول عنها أنها من حضارات البحر الأبيض المتوسط إلى أن تتوضح الهوية الخاصة بكل بلد.

وليس هناك من مثال يمكن أن يمثل هذا الوضع كالحيوان الخرافي المجنح (برأس وأجنحة)، فنوعيته وشكله المميز وطبيعته غير العادية تساعد على تحديد أصله، (صورة ٥٠) ولكن خلال العشرين عاماً التي مضت كانت تنسب إلى إيران أو صقلية أو شمال أفريقية أو مصر أو اسبانيا، وما يزال هناك عدم اتفاق ما بين العلماء حول هويته.

ويمكن أن يكونهذا الحيوان الخرافي زينة لكل قصر، ولا بد أنه كان يحمل شيئاً ثقيلاً ربما فسقية أو شمعدان. وهناك فسحة عند الردف يمكن أن يسمح لذلك الشيء بالاستناد عليه، وقد وقف وقد سكب قطعة واحدة الذيل بارتفاع مئة سنتمتر والجناحان (مفقودان الآن) كان مثبتان على الحيوان ببرشام من المعدن، وتفاصيل الرأس والجسم المنحوتة بدقة تبين أنه لم يكن لينجزها إلا سكاب محترف، مما يشير إلى وجود صناعة متقدمة في الوقت الذي أنجز ذلك العمل، وزخارف الحيوان تشير إلى تطور صناعة النسيج في ذلك الوقت، لأن جسمه قد غطي بغطاء من الحرير، وقد نقش على المعدن لاظهاره، وتبدو ثمة دوائر من المحتمل أنها كانت تحتوي على أشكال حيوانات صغيرة وحوافٍ من الكتابة الكوفية المزخرفة تحتوي تباريك لصاحبها. وتظهر المقدرة الحقيقية لصانع المعدن في هذا الحيوان من أنها ليست تقليداً للأشياء المصنوعة من صفائح الذهب والفضة ولا للأواني العملية البسيطة. وبدون شك فإن الورشة التي أنتجت هذا الحيوان صنعت أشكالاً أخرى مثله وبالصدفة لم يبق منها إلا هذا الحيوان الى الآن في بيزا Pisa.

وبالرغم من تجزؤ الامبراطورية، فإن الدِّيانة الإسلامية والحضارة الإسلامية استمرت في توحيد قواها خلال تلك الفترة، وقد تأسس أسلوب جديد عبر العالم الإسلامي، وظهرت أشكال جديدة مقتبسة من حضارات قديمة متفرقة ولكنها الآن إسلامية. ويمكن إيجاد أشكال متشابهة من الأواني، وأساليب من الزّخرفة على العديد من الأشياء تعود إلى دول متباعدة مثل اسبانيا وأفغانستان.

ـ ٥ ـ

السطوح البراقة

١١٠٠ ـ ١٤٠٠

كانت الفترة من ١١٠٠ ـ ١٤٠٠ نشطة لكل الأوساط. حيث أصبح الصنّاع أصحاب خبرة بتقنيات جديدة وتصاميم في محاولة لتنفيذ رغبة طالبي السطوح المزخرفة التي كانت تتزايد خلال القرون الأولى من حكم الدولة الإسلامية. وأكثر التطورات أهمية بالنسبة لصناعة المعدن كانت تقنية التطعيم التي بدأت في المقاطعات الشرقية خلال القرن الثاني عشر، ومن ثم انتشرت إلى الغرب عبر الدولة الإسلامية. فالتطعيم حوّل الأواني النحاسية إلى أواني فاخرة مكنها أن تنافس الأواني الذهبية والفضية المعاصرة لها. وقد أصبح الشبه كبيراً جداً فيما بينها باستعمال صفائح النحاس والزخرفة البارزة (صورة ٥٢ ـ ٥٦) .

سيطر التطعيم بالنحاس على الصناعات المعدنية خلال القرنين ١١٠٠ و ١٣٠٠ وما تلاهما. ومن المفيد أن نتذكر الكميات الأخرى من الصناعات المعدنية التي أنتجت والتي لم تعش طويلاً (صورة ٦٥): وبقي الذهب والفضة والذين بسبب وضعهما على رأس هرم المعادن غير قابلين للمزاحمة بسبب قيمتهما



صورة (٥٢)

تفصيل لابريق من صفائح النحاس طعم بالفضة والنحاس الخام. انظر الشكل (٥٦) النحت البارز والزخارف المطعمة يحولان مادة المعدن الأساسية الى آنية فاخرة براقة، اما صناعة الببغاوات الصغيرة فتظهر مهارة خاصة ولا بد انها صنعت من داخل الابريق مستعملين قطع حديدية مسخة. وتحتوي الزخارف المطعمة على شكل دوائر اشكال الكواكب كل واحدة ترمز إلى برج ممثلاً بمنزله النهاري والليلي. في التفصيل يبدو العمل في السرطان وعطارد وفي الجوزاء. حيث الرؤوس الآدمية تتشابك مع التباريك.

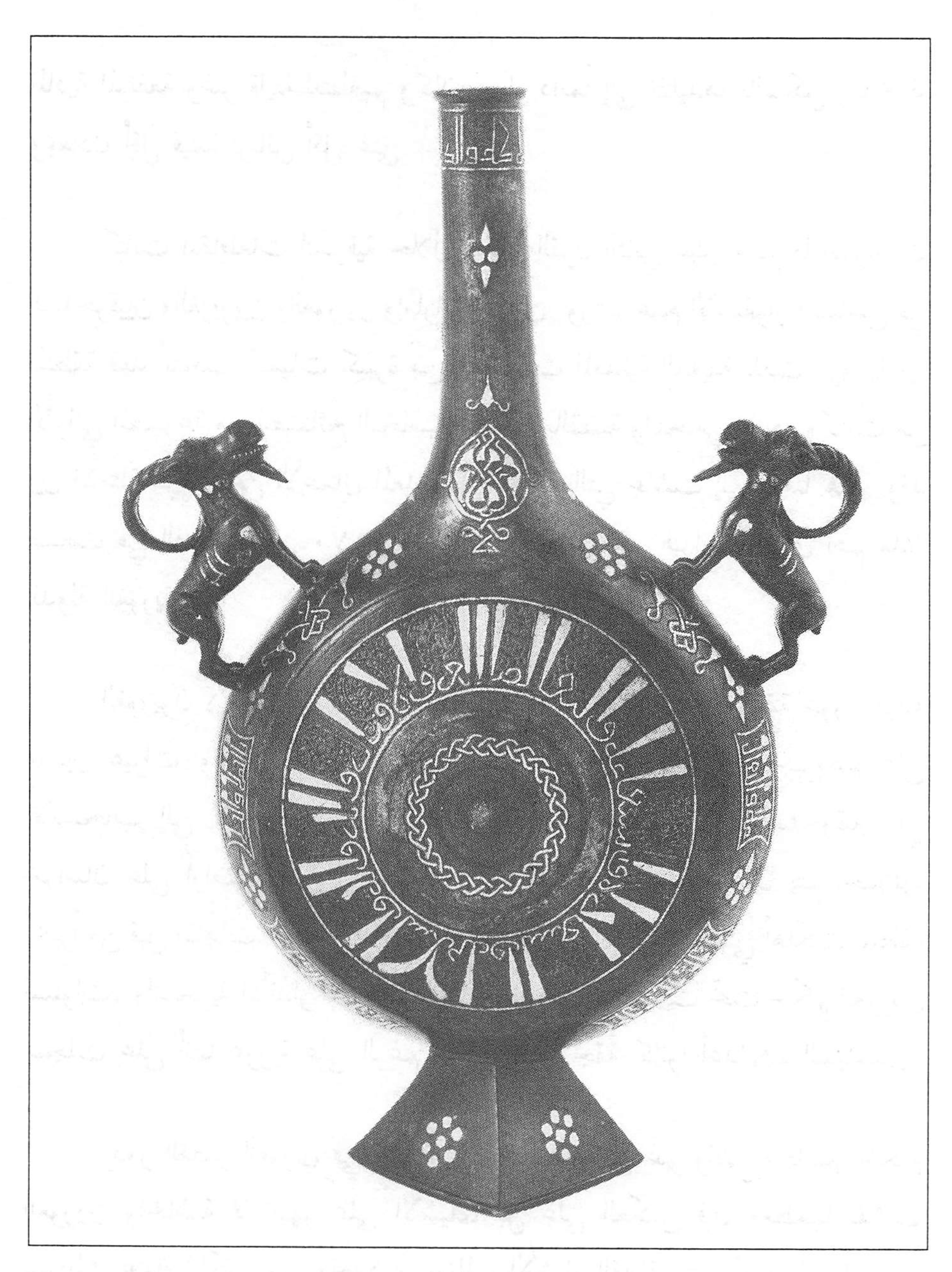
هيرات ١١٨٠ - ١٢٠٠

المادية المرتفعة وغير قابلة للتطعيم وكان يصار دائماً إلى تقليدها بالشكل والزخرفة وبمعادن أقل قيمة لزبائن أقل غنى.

كانت المقاطعات الشّرقية خلال معظم القرن الثاني عشر مسرحاً لصراعات السلجوقيين والغزنويين والغوريين وإمارات أخرى. ورغم عدم الاستقرار السياسي في المنطقة فقد أنتجت كميات كبيرة من الصناعات المعدنية الدقيقة بلغت ذروتها في الأواني المصنوعة من الصفائح النحاسية المطعمة بالفضة والنحاس الخام، وكانت من بين الأمثلة الرائعة عن الأعمال المعدنية الإسلامية التي عاشت إلى يومنا هذا. وقد صنعت في الفترة ما بين ١١٧٠ و ١٢٢٠ وخاصة في هيرات إحدى أهم مدن الدولة الغورية.

الغوريون (١١٤٨ ـ ١٢١٥) هم عصابات جاءت من منطقة غور الجبلية ما بين هيرات وغزنه. أزاحوا الغزنويين من غزنه عام ١١٥١ وأجبروهم على الانسحاب إلى لاهور وقد قاموا ببعض الغزوات على أراضي السلجوقيين في خراسان على أراضي الغزنويين وأراضي راجبوت في الهند قبل أن يتم احتلالها أخيراً من قبل شاهات خوارزم عام ١٢١٥، قبيل غزوات المغول التي أهلكت المنطقة لسنوات. ولسخرية الأقدار فإن الصناعات المعدنية التي أنتجت تحت حكم الغوريين سجلت على أنها غورية على الرغم من أن السلاجقة كانوا أعداءهم السياسيين.

ودور القصر الغوري في عملية التطعيم بالنحاس غير واضح، فاسم الحكام الغوريين والحاشية لا تظهر على الأشياء، بل على العكس فإن معظمها نقشت بتباريك عامة لمالكين غير محددين. وتلك الأشياء القليلة التي تحمل اسماً، فهي اسماء تجار من غرب إيران (صورة ٤٥) وهذا يؤكد إدعاء زكريا القزويني العالم الكوني، الذي عاش في القرن الثالث، أن هيرات كانت مركز صناعة النحاس المطعم، وأن النحاس المطعم كان يستورد من هناك. واعتقد أن معظم تلك الأشياء المعدنية قد صنعت للتصدير أكثر مما هي للاستعمال المحلي.



صورة (٥٣)

قارورة من النحاس المسكوب بمقابض على شكل ماعز، منقوش عليها تباريك بخطوط مختلفة ومطعمة بالفضة. امر بصنع هذه القارورة في البنجاب، وربما صنعت في المستعمرات الهندية التابعة للامبراطورية الغورية، حيث ان الشكل لا يوجد له مثيل في الصناعات المعدنية الاسلامية، وتعود القوائم المربعة إلى الأواني الهندية.

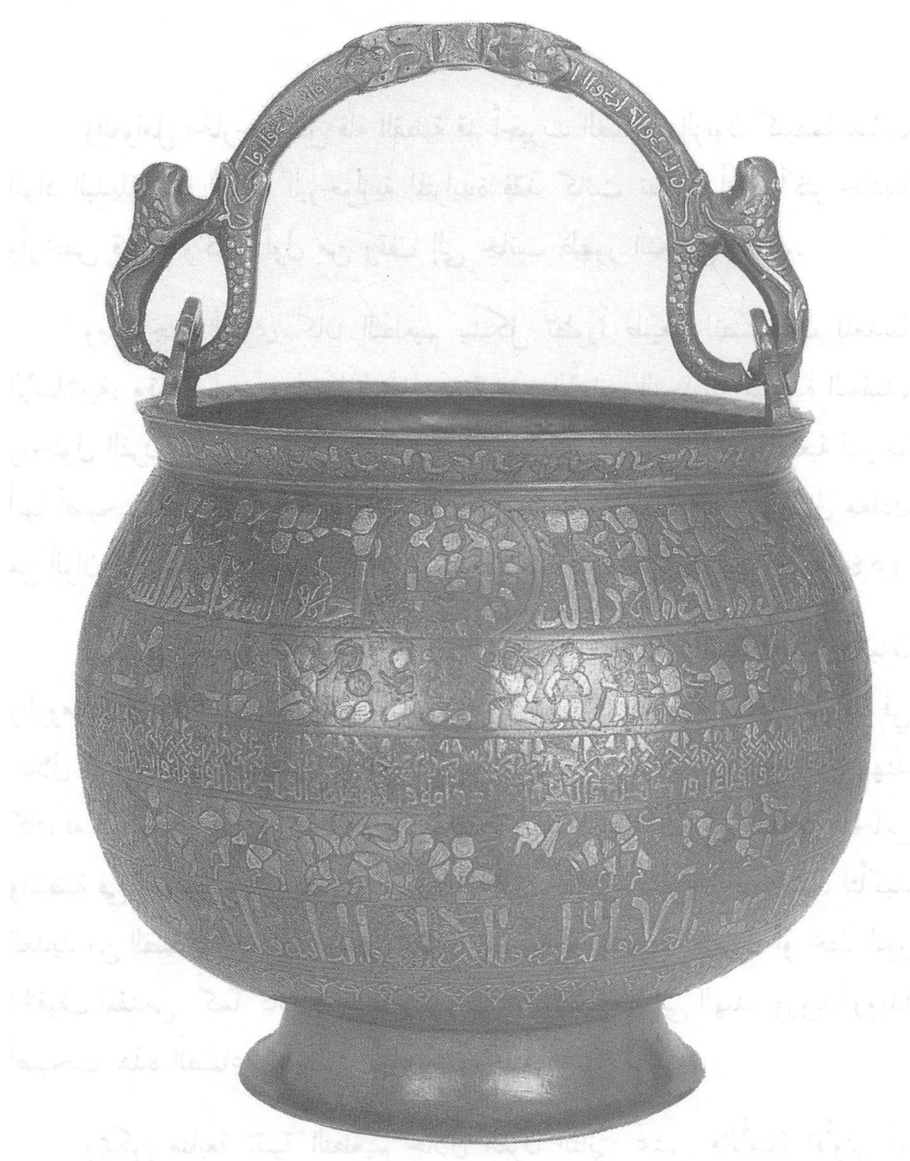
الارتفاع ٣١,٤ سم خراسان او البنجاب ١٢٠٠ م.

والعوامل الخارجية مثل قلة الفضة قد أجبرت الصانع والزبون كليهما لطلب المواد البديلة. أما الطبقة البرجوازية المتزايدة فقد كانت تطلب أوانٍ أكثر جاذبية وأرخص قيمة، وكانوا أول من وقف إلى جانب ظهور النحاس المطعم.

ومن جهة أخرى كان التطعيم يشكل تطوراً طبيعياً للصناعات المعدنية الإسلامية، وقد أصبحت الزخارف المنحوتة على الأواني النحاسية شديدة التعقيد، وبحلول القرن الثاني عشر كانت التصاميم التي تغطي سطح الأشياء صعبة لدرجة أنها أصبحت غير مقروءة تقريباً، صورة (٤١ ـ ٤٢)، ولذلك فإن استعمال معادن من ألوان أخرى مختلفة أصبحت ضرورة ومساعدة لتوضيح التصاميم (صورة ٥٤).

ولم يكن تطعيم المعدن جديداً في الشرق الأوسط فقد استعمله الساسانيون والرومان، في الأعمال المعدنية واستمروا في توظيف هذه التقنية بشكل متباعد في خلال فترة الحكم الإسلامي، ولكن الاتصال المتزايد ما بين خراسان وشمال الهند كان له الفضل الأكبر في ملاحظة هذه التقنية، فقد استعملت تقنية تطعيم النحاس والفضة في كشمير وشمال شرق الهند في القرن الحادي عشر والثاني عشر، لتأكيد العديد من الصفات في الملامح في تماثيل طقوسية لديهم، مثل العيون أو خط النور الخفيف المقدس. كما كانت تنقل أخبار الصناعة الإسلامية إلى الهند، ورويداً رويداً أصبحت هذه الصناعة تدخل في الورش المحلية، صورة (٥٣).

ويمكن متابعة تقنية التطعيم خلال القرن الثاني عشر. فالأمثلة الأولى أو الأشياء الأولى التي صنعت بهذه التقنية، استعملت فيها أسلاك النحاس الخام لتأطير الزخارف المنحوتة أو لإبراز العناصر المهمة للزخرفة مثل المخطوطات. ويتم تطعيم السلك في أخاديد عميقة، وقد عاشت إلى يومنا هذا على الرغم من أنه يكتسب مظهراً غامقاً يجعلها صعبة التمييز بينها وبين الأرضية النحاسية، كما استعملت الفضة إلى جانب النحاس الخام في عملية التطعيم في منتصف القرن الثاني عشر. وحوالي ١١٦٣ تاريخ انتاج سطل بوبرينسكي صورة (٥٤) ظهرت عمليات التطعيم مع الزخرفة لخلق سطح غني بالألوان المتعددة.



صورة (٥٤)

سطل بوبرينسكي سكب بالنحاس المطعم بالفضة والنحاس الخام، كتب على حوافيه امر بصنعه عبد الرحمن بن عبد الله الرشيدي، صنعه محمد بن عبد الوحيد وزخرفة حاجب مسعود بن احمد من هيرات. وصاحبه خواجه ركن الدين فخر التجار. افضل من يستحق الرحمة وبركة الحرمين الشريفين. والضريحين رشيد الدين عزيز ابن ابو الحسين الزنجاني له المجد، يعود تاريخ مقبض الابريق الى ٥٥٩ محرم (كانون اول ١١٦٣) اما الكتابة الأخرى فهي تبريك لمالك غير معروف مما يوحي ان الأواني كانت تصمم للسوق على ان يضاف إلى الآنية اية وكتابة يُرغب بها بعد عملية الشراء. والأفاريز تتضمن اشكالاً مزخرفة لموسيقيين وصيادين وشخصين يلعبان النرد ويؤكد وضوح الرؤية للمشاهد المفصلة انها انجزت بالاستعمال الماهر لثلاثة معادن ملونة هي التصميم. النحاس المعالج والنحاس والفضة.

الارتفاع ١٨,٥ سم هيرات كانون الأول ١١٦٣ م.

في الربع الأخير من القرن الثاني عشر احتل معدن الفضة مكان النحاس في عملية تطعيم وزخرفة القطع الدقيقة. كما دخلت عدة تقنيات تطعيم وزخرفة زادت من كلفة المعدن الغالي، مثال ذلك التطعيم الضيق (كالخط) حيث يدخل سلك فوق سلسلة متوازية من الثقوب الصغيرة، وتطرق ليتم تثبيت السلك، صورة (٥٢). وأيضاً التطعيم الفراغي حيث توضع الصحيفة المعدنية فوق جزء من سطح القطعة، على أن يكون قد حفر حول الحوافي فقط. ويتم طرقها لتأخذ مكانها، وهكذا يستعمل القليل من الفضة. وسيئات هذه التقنية الاقتصادية هي تعرض القطع المطعمة للانقلاع فقد تنزع بسهولة أو تسقط من تلقاء نفسها تاركة مكانها فراغاً كدليل وحيد على أن القطعة كانت مطعمة بمعدن ثمين.

صورة (٥٥)

صحن من صفائح النحاس المطعم بالفضة ربما تم طرق الصحن على قالب لتشكيل الشكل المطلوب يوجد مثيل لهذا الصحن من الفضة في متحف الارميتاج. ويؤكد التشابه بين تقنيات التصنيع من صفائح النحاس والأواني الفضية الغالية في نفس الوقت.

الطول ٢٩ سم هيرات ١٢٠٠ م.

تسبب تطور تقنية التطعيم بثورة ضد الأواني النحاسية فقد زاد استعمال التطعيم بالفضة والذهب، وبالتالي زادت قيمة القطعة وخاصة بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في الحصول على قطع لها قيمتها وبسعر أرخص، وبهذا أصبح التطعيم

موضة العصر، وتقدمت على صناعة الخزف ونافس معدن الفضة والذهب وأصبح السلطان والطبقة الغنية يسعون للحصول على قطع نحاسية مطعمة بالفضة أو بالذهب.

وهكذا تم صنع العديد من القطع الفاخرة مثل الشمعدانات، ورشاشات ماء الزهر وقد بدأت تصنع من النحاس المُعالج. ولأول مرة بعد ذلك بدأ الصناع يسعون إلى تصفيح المعدن لتقليد السّلع الذهبية والفضية الدقيقة. وصناع الفضة أنفسهم كانوا أحراراً في انشاء أشكال معقدة من المعدن المصفح يمكن أن يكونوا المسؤولين عن ظهور أول الأمثلة، صورة (٥٥ - ٥٦) . وكانت تلك النسخ الأولى التي تصنع من المعدن المصفح تقليداً للأواني النحاسية المسكوبة، ولكن على الرغم من أنهم تمكنوا من تقليد الشكل، (صورة ٢١)، إلا أنهم لم يتمكنوا من الحصول على لمعان وملمس القطعة المطروقة، وبالفعل فإن المتانة الأكبر لمادة النحاس، مكنت صناع المعدن من التوسع في النموذج الأصلي من الفضة، وأصبحت أدق الزخارف البارزة ممكنة. والابريق الموجود حالياً في المتحف البريطاني (صورة ٥٦) هو تنوع لشكل إبريق من الفضة يتواجد في متحف الارميتاج ويظهر بسيطاً جداً بالمقارنة معه.

إن سمو الأواني النحاسية المطعمة وارتفاع ثمنها كان قد نقلها إلينا شعراً عامل تطعيم معتز بنفسه، نقش إبريقاً آخراً موجوداً في متحف تفليس، ويعود تاريخه إلى (١١٨١ - ١١٨٢).

«الابريق الجميل، رائع وراقي من يجد اليوم إبريقاً مثله؟

كل من يراه يقول: جميل جداً لا يوجد له مثيل ولا توأم له.

انظر إلى الإبريق تخرج الروح لتحوم حوله، وهذه المياه التي تخرج منه بل كل قطرة من الماء تخرج منه، وتستقر في اليد، تعطي لساعات يومنا سعادة جديدة.

انظر إلى الإبريق الذي يعجب الجميع، ويشرفه خدمة النبلاء أمثالك، الكل يرى كيف تنبثق النداوة منه، ولا يمكن أن يصدر منه ما لا يليق هذا الابريق إلا الماء.. صنع في هيرات ما هو البلد الذي يمكنه أن يصنع مثله؟

سبعة أجرام سماوية فخورة بنفسها، تحمي من يصنع مثل هذا الأبريق.



صورة (٥٦)
ابريق ببزبوز مرتفع للماء. صنع من صفائح النحاس بزخارف بارزة ومطعم بالفضة. (انظر التفصيل شكل (٥٢) التباريك والخطوط المعقدة والتصوير الفلكي مع تداخل الرموز الفلكية للكواكب والأبراج تظهر بوضوح مكانه صانع الابريق ومالكه تماماً كما تظهر واضحة على الابريق المشابه له والموجود في متحف تفليس. انظر (صورة ٧٧)
الارتفاع ٤٠ سم هيرات ١١٨٠ ـ ١٢٠٠

فليبارك الله من يصنع مثل هذا الإبريق وقد سخر الذهب والفضة لزخرفته.
فليمنح الله السعادة، من يعطي هذا الإبريق لصديق وليمنحه الاسى لمن يعطيه لعدو.

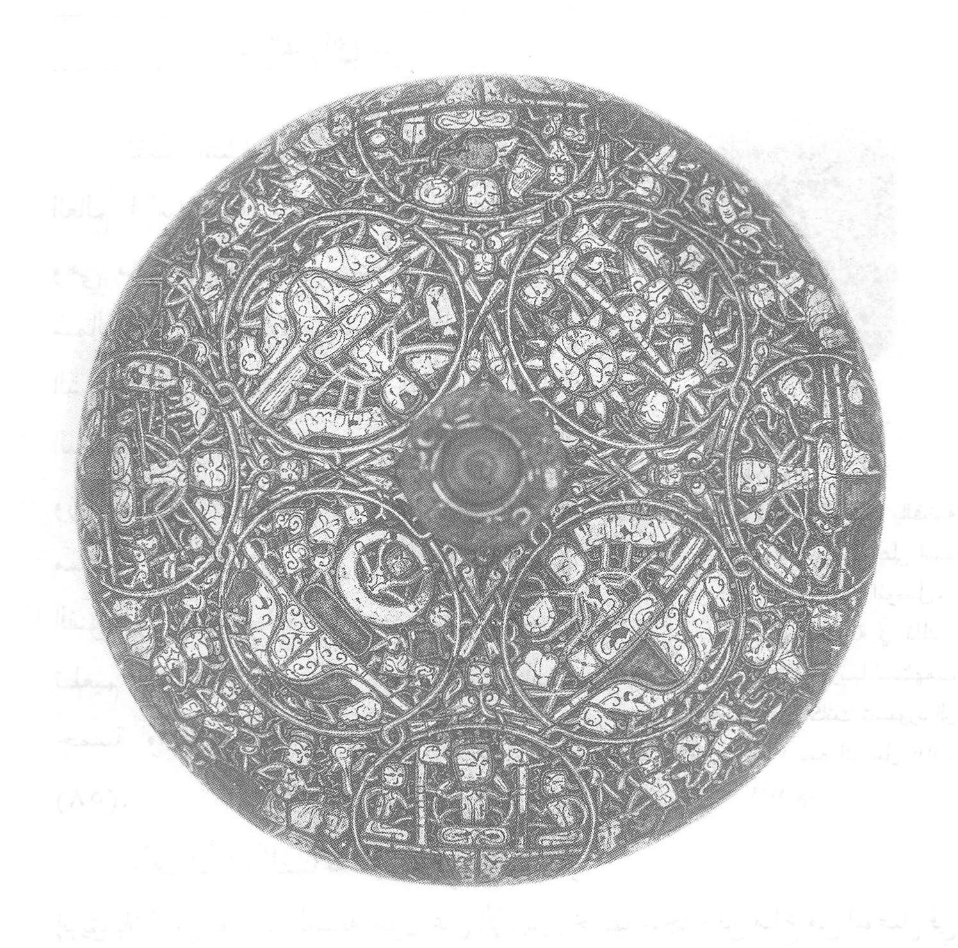
تريد القصيدة السابقة أن تقول أن الكتابة الموجودة على هذه الأواني كانت رمزية عميقة.

يقارنالشاعر نظامي مصدر الحياة الكامن في ظلال أرض الظلمة بمصدر الشمس. ويناقش هل كان سيكون بالإمكان الشرب من مائها لولا أشعة الشمس التي تجعلها صالحة للشرب؟ بالنسبة للمشاهد المعاصر لتلك الفترة، يمكن لهذا الإبريق أن يرمز إلى مصدر الحياة، حيث تنبثق المياه، وبالتالي يرمز أيضاً لمصدر الشمس. الأخير أشير إليه بالجسم الدقيق والخطوط الشعاعية حول العنق (أي عنق الإبريق) تمثل أشعة الشمس، والكواكب الدوارة حول الجسم أي جسم الإبريق في هذا السياق هي صور الحيوانات الخيالية والطيور والأسماك على الإبريق وتمثل العالم الروحي والمادي. والتباريك المخطوطة تزيد الفعالية الدفاعية للابريق، والادعاء أن هيرات كانت مركز صناعة تطعيم المعادن، جاء في كتابات وجدت على شيئين من أدق وأروع الأشياء. هما سطل بوبرينسكي (صورة ٥٤) وإبريق تفليس ومن خلال عدد من الصناع الذين تشير أسماؤهم أنهم عاشوا أو تدربوا في هيرات ومدن مرو ونيسابور وطوس، ويمكن أن يكون هناك مراكز لصناعة تطعيم المعادن داخل الإمبراطورية الغورية والإمبراطوريات المنافسة لها. كذلك ظهرت مجموعة من الزبادي البرونزية المزخرفة بأسلوب مختلف نوعاً ما عن الأسلوب الذي كان سائداً في هيرات، التي يمكن أن تمثل مركزاً بديلاً لانتاج الأواني المطعمة الدقيقة، صورة (١٠ - ٥٧) .

ازدهرت ورش تطعيم المعادن حتى عام ١٢٢٠ عندما غزا جنكيز خان[1] وجيشه المغولي خراسان. فقد أسفر الغزو عن سقوط المدن وسلب سكانها، ولا عجب أن يتأثر انتاج الصناعات المعدنية في هذه المنطقة، وعلى الرغم من ذلك

---

(١) جنكيز خان: ابن يشوكي (١١٦٧ - ١٢٢٧)، منشىء الإمبراطورية المغولية التي انتشرت في العالم أجمع، ولد في إقليم دولون بلدق (بلاد الروس)، وكان اسمه الأصلي تيموجين، هزَّ بفتوحاته أركان الدول جميعاً فيما بين الصين والبحر الأسود.



صورة (٥٧) ص (٧٩)
غطاء إبريق فاسو فيسكوفالي من النحاس المطعم بالفضة. الدوائر الثمانية تحتوي على تمثيل للكواكب وتأثيرها السحري. هذه الأشكال ربما انحدرت عن أصل هندي بالإضافة الى الاشكال الكواكبية الثمانية. هناك التنين الذي يمثل الخسوف القمري. خراسان ١٢٠٠ م.

انتقلت تقنية تطعيم المعدن باتجاه الغرب مع المنتجات المعدنية المصدرة ربما مع الصناع الذين هربوا قبل وصول المغول[٢]. وخلال القرن الثالث عشر انتشرت العديد من مراكز صناعة تطعيم المعادن في سورية وغرب ايران والجزيرة والأناضول ومصر.

---

(٢) المغول: أو المغل: امبراطورية أسسها جنكيز خان ووزعها بين أبنائه، ومنهم: جغتاي، وتعرف سلالته بالمغل العظماء.



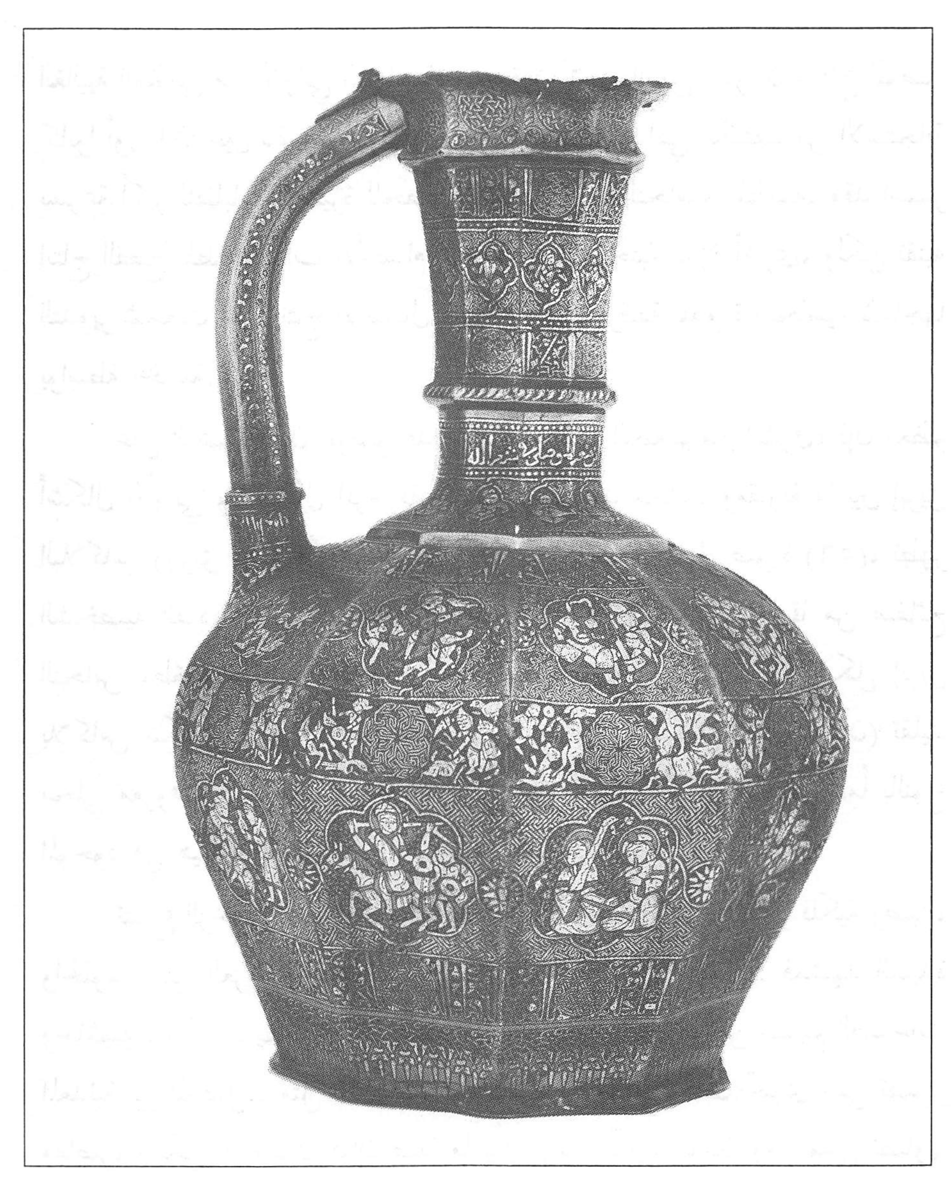
صورة (٥٨) (ص ٨٠)
علبة من صفيح النحاس مطعم بالفضة الكتابات حول الغطاء تحتوي على اسم ولقب بدر الدين لولو حاكم الموصل. والأرضية الهندسية معروفة في ذلك الوقت في أعمال الموصل وربما استلهمت من حرير الصين التي كانت تستورد الى المدينة. الارتفاع ١٠,٢ سم الموصل ١٢١٠ - ١٢٥٩ م.

نقطة انتشار تقنية التطعيم الجديدة في العالم الإسلامي كانت من العراق، الموصل. وهي مدينة مزدهرة على ضفاف نهر دجلة في شمالي العراق اوكان لها صلات تجارية قوية مع الشرق، وكانت لفترة طويلة تحت سيطرة بدر الدين لولو (١٢١٠ ـ ١٢٥٩) الذي كان أولاً وزيراً لآخر حاكم زنكي ومن ثم كحاكم مستقل. جلب الاستقرار للمدينة وازدهرت الفنون في عصره، وقد شجع بنفسه صناعة تطعيم المعادن في مدينته، وقد حملت اسمه خمسة أواني وهي باقية حتى يومنا هذا. صورة (٥٨).

وأهم الأمثلة للصناعة المعدنية في الموصل هو إبريق بلاكاس. وتذكر الكتابة حول عنق الإبريق زخرفها شجاع بن مناع من الموصل في شهر رجب أيار في سنة ٦٤٩ هـ ١٢٣٢ م في الموصل صورة (٥٩ ـ ٦٠).

باستثناء شهرة الموصل في أعمال التطعيم.. فإن هذا الإبريق هو الشيء الوحيد الذي يؤكد أنه قد صنع هناك مع خمسة أشياء أخرى، صينيتان وشمعدان وحوض وصندوق، صنعت خصيصاً لبدر الدين لولو، وزبدية صنعت لواحد من حاشيته، (صورة ٥٨) وتشكل المجموعة الأهم التي تمثل الصناعة المعدنية في الموصل.

كذلك رفعت تقنية التطعيم من قيمة السلع النحاسية في الموصل كما حصل في خراسان، فقد بدأت تنتج الورش الشمعدانات النحاسية لأول مرة، (صورة ٢٣). وربما كان أغلبها نسخة عن النماذج الأصلية الفاخرة التي لم تعش إلى الآن. كان الصناع يضعون في الغالب بصفائح النحاس المباخر المقببة التي تمثل



صورة (٥٩) ص (٨١)

إبريق بلاكاس مصنوع من صفيح النحاس (فقدت قوائم وبزبوز الابريق) وقد تم طرق النحاس ليأخذ الشكل المناسب، نقش وطعم بالفضة والنحاس الخام (انظر تفاصيل الصورة في ٢٤ و٦٠) هذا الابريق الرائع زخرف في ورشة شجاع بن مناع في الموصل وكانت افضل الورش في المدينة الصناع الذين تدربوا على يديه. وعلى يدي معلمين آخرين اكدوا ان الأسلوب المحلي في التطعيم بالصور الرائعة على الأفاريز والدوائر والأرضية الهندسية كان له الأثر الكبير في الموصل وفي اماكن اخرى.

صورة (١١)

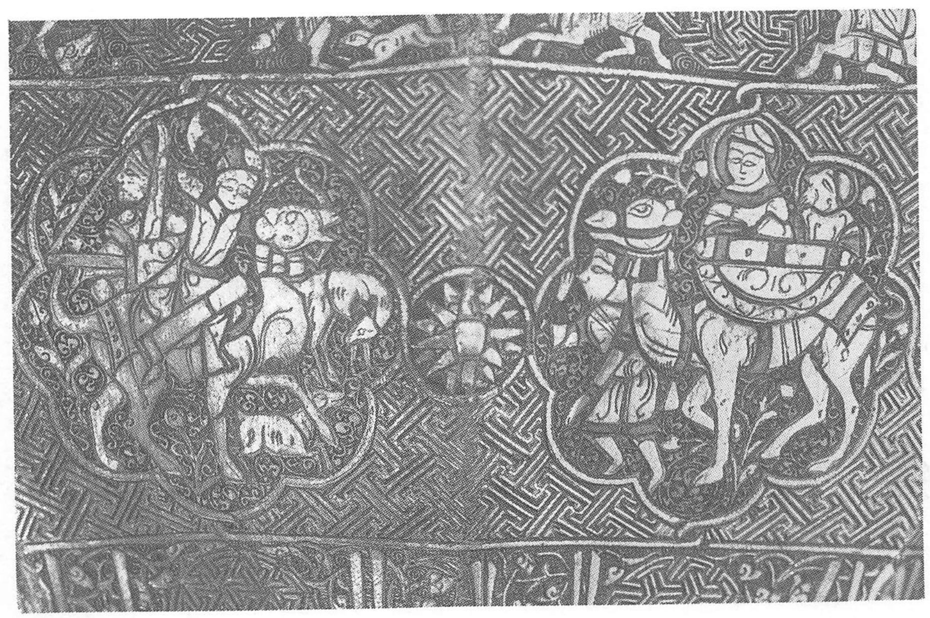
الارتفاع ٣٠,٤ سم الموصل نيسان ١٢٣٢ م.

الغالبية العظمى من الأواني النحاسية، صورة (٦١) وبالفعل يبدو أن صناع الموصل كانوا أول المخترعين لتقنية التدوير (انظر الشكل (٣٤) التي مكنتهم من الاستجابة بسرعة أكبر للطلبات الكثيرة للحصول على الأواني النحاسية المطعمة، وقد استمر انتاج القطع المطروقة ذات الأجسام الرفيعة أعمال نحتية بارزة أخرى، ولكن تقنية التدوير شجعت على إنتاج الأشكال ذات الجدران الرقيقة المدورة النحاسية لانتاجها بواسطة المخرطة.

على الرغم من أن الموصل قد استعارت تقنية التطعيم من الشرق، فإن معظم أشكال الأواني والأشكال المزخرفة كانت ترسم بيد محلية. ومقارنة ما بين إبريق البلاكاس وإبريق صنع في هيرات منذ أقل من خمسين عاماً، صورة (٥٦)، تظهر الشخصية الفردية لصناعة المعدن في الموصل. كلا الانائين قد طرقا من صفائح النحاس وطعّما بالفضة والنحاس الخام، ولكن هنا ينتهي الشبه. فشكل إبريق بلاكاس شكل الإجاصة، العنق الطويل ويتابع البزبوز الطويل (مفقود الآن) تقليد محلي معروف منذ العهد البيزنطي (انظر شكل ٢٨). وهي مختلفة تماماً بالنوع الموجود في هيرات ذات البزبوز الواضح للابريق.

تتنوع الزخرفة بشدة من أكثر الصناعات الخراسانية فهي صور فلكية وصيد، والجلوس على العرش والحرب والقصور وصور عن الحياة اليومية. فمشهد السيدة وحاشيتها، تركيب يظهر جملاً يقوده خادم (صورة ٦٠) هو من صميم الصناعات المعدنية في الموصل.. مثل تلك المشاهد كانت شائعة في كتب تحتوي على تصوير معاصر، ويمكن أن تكون هناك صلة ما بين ورش تطعيم المعدن ومصممي تصاوير هذه الكتب ولكن في النهاية يدين كلاهما إلى موروثات الحضارات القديمة التي ظهرت إلى الوجود مرة ثانية خلال الفترة الإسلامية، على الفخاريات البراقة على سبيل المثال.

كانت بعض الزخارف الموجودة على إبريق بلاكاس تعتمد على نماذج من الشرق، وإحدى الدوائر تحتوي على تصوير لبهرام غور يصطاد مع أزادا في قصة الفردوسي، كاتب السير الشعبية الإيراني، في كتابه شاه ناما أو «كتاب الملوك»



صورة (٦٠) تفصيل عن إبريق بلاكس، انظر الصورة (٥٩)، الدائرة اليسرى تصور بهرام غور في الخارج أثناء الصيد مع أزادا الموسيقية المفضلة لديه. في مشهد عن اسطورة شاه ناما. على اليمين سيدة غنية على مولود الحمل الصغير، كان معاصرو تلك الفترة يشتكون من الازدحام الذي كانت تسببه هذه الجمال الصغيرة في شوارع الموصل سنة ١٢٣٢ م .

(صورة ٦٠). عرف هذا المشهد على قطع معدنية قديمة تعود إلى المنطقة الغربية من الدولة الإسلامية ولكنها ظهرت بين صيادي مشهد رسم حول قاعدة إبريق فاسو فيسكوفالي. فالصور المتحركة (صورة ١٠) حول جسم القطعة ربما أتى من خراسان أيضاً حيث كان تصوير الإنسان والحيوان شائعاً ولكن تأثير الزخرفة بطريقة التقسيم إلى دوائر وأفاريز على أرضية مزخرفة زخرفة هندسية بسيطة تختلف عن التوزيع النظامي للعناصر المزخرفة على إبريق هيرات.

أما صناعة التطعيم في الموصل فكانت تصدر للبيع (صورة ٦٢) كهدايا لأمراء وملوك مناطق أخرى وذلك وفقاً لبعض المعاصرين مثل الجغرافي ابن سعيد[١]

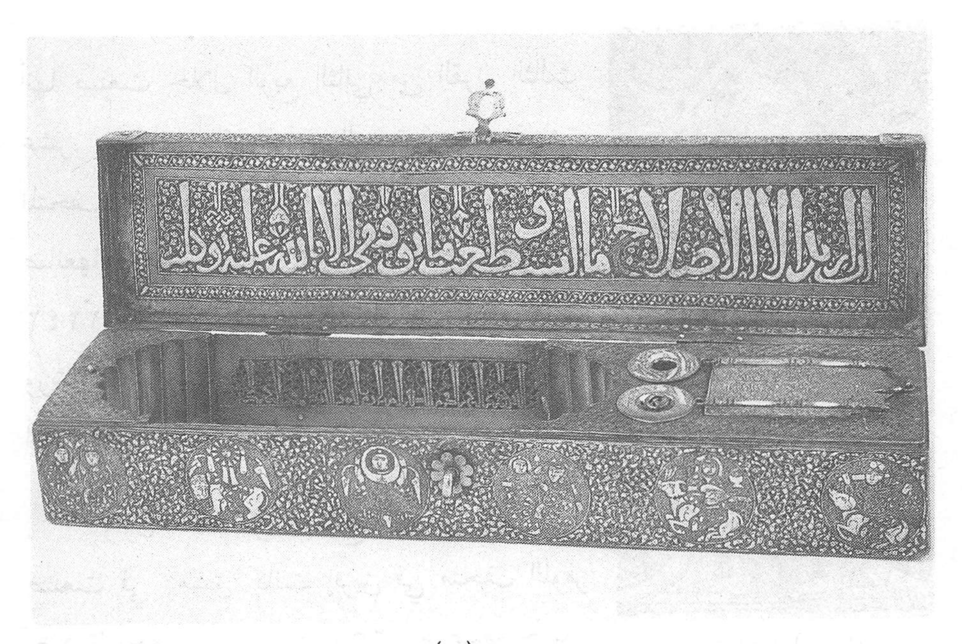
(١) ابن سعيد: هو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي الملاجي، أبو الحسن، مؤرخ أندلسي، من الشعراء العلماء بالأدب، ولد بقلعة يحصب سنة ٦١٠ هـ الموافق ١٢١٤ م، واشتهر بغرناطة، وقام برحلة زار بها مصر والعراق والشام وتوفي بتونس سنة ٦٨٥ هـ الموافق ١٢٨٦ م، من تآليفه: المشرق في حل المشرق، والمغرب في حل المغرب.



صورة (٦١) ص (٨٣)
مباخر من النحاس المسكوب والمطعم بالفضة (انظر تفصيل الشكل ٦٣) يقول الشعر على احداها: داخلي نار جهنم ولكن بلا لهب ومن عطور الجنة.
الارتفاع ١٩ - ٢١ سم الموصل. سوريا القرن ١٣ - ١٤

الذي كتب في منتصف القرن الثالث عشر وهذا يؤكد أن الأواني النحاسية قد جعلت لنفسها أخيراً مكانة عالية نافست الأواني الذهبية والفضية التي كانت تصنع لبعض الزبائن وقد جذب الطلب المتزايد على النحاس المطعم بعض صناع المعادن لإنشاء ورش خارج الموصل وسرعان ما انتقلت تقنية وأسلوب الموصل في الزخرفة[١] الى سورية ومصر. غرب إيران والأناضول حيث وقع بعض صناع القرن الثالث عشر والرابع عشر بالموصلي (من الموصل) على أعمالهم.

عام ١٢٤٤ استسلم بدر الدين لولو للمغول تماماً وبذلك تجنبت الموصل نهب وسلب المغول، مما عانت منه المدن الأخرى إلا أن ابنه لم يكن بنفس ذلك الذكاء وتم غزو المدينة عام ١٢٦١ - ١٢٦٢ . وتزايد هروب صناع المعادن مع وصول المغول عام ١٢٤٤ والأشياء التي وقعت من قبل صناع الموصل أو زخرفت بالأسلوب الموصلي أصبحت تنسب إلى مراكز أخرى بعد ذلك التاريخ.



صورة (٦٢)

صندوق للاقلام من النحاس بزخارف فلكية (انظر واجهة الغطاء) مطعم بالفضة والنحاس الخام بكتابة من القرآن الكريم.

الطول ٣٦,٨ سم الموصل القرن الثالث عشر.

- سورية -

كان عدد من صناع المعادن في الموصل قد غادروها الى دمشق هرباً من الغزو المغولي ١٢٦١ وطمعاً في حماية السلطان الأيوبي (١١٦٩ - ١٢٥٠) بل حتى ١٢٦٠ وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي انتصر على الفاطميين في مصر عام ١١٦٩ قد قسم دولته ما بين عناصر عائلته وبهذا حكمت دويلات أيوبية منفصلة مصر وسورية وحلب والجزيرة واليمن.

أكثر من خمسين قطعة بقيت تحمل اسم ولقب السلطان الأيوبي استورد بعضها من الموصل ولكن الأخرى لابد أنها أنتجت داخل الدولة الأيوبية نفسها وأول قطعة يمكن أن نكون متأكدين من أنها صنعت في دمشق هي المبخرة المصنوعة من النحاس المسكوب في مجموعة قارون Aron وعليها كتابة تقول أن صانعها محمد بن خوتلوخ الموصلي في دمشق ولا تاريخ عليها ولكن من المؤكد



صورة (٦٣) (ص ٨٤)
تفصيل لمبخرة (انظر صورة ٦١)
يظهر اشكالاً مختلفة يرجح مبخرة بيده.
سوريا اواخر القرن الثالث عشر.

أنها صنعت خلال الربع الثاني من القرن الثالث عشر. وهناك أداة لقراءة البخث موجودة في المتحف البريطاني تحمل نفس التوقيع أي نفس صانعها ويعود تاريخها إلى ٦٣٩ هـ ١٢٤١ - ١٢٤٢ م هذان المثالان ينبئاننا أنه كانت هناك ورشات للسكب في دمشق وكانت قادرة على أعمال غير عادية ومعقدة.

وأول قطعة من صفائح النحاس تقول أنها صنعت في دمشق كانت إبريق في متحف اللوفر يعود تاريخه إلى ٦٥٧ هـ ١٢٥٨ م صنعه حسين ابن محمد الموصلي للسلطان الأيوبي صلاح الدين يوسف[١] الذي حكم من دمشق شكله شبيه بابريق بلاكاس وكذلك تقنية التطعيم وأسلوب الزخرفة. وقد نقل باتجاه الجنوب على يد صناع الموصل المهاجرين.

وهناك مجموعة من الأعمال المعدنية زخرفت بأشكال فنية وأحداث تخص تلك الفترة (صورة ٦٣). وربما طلب بعضها زبائن من دول مجاورة وطبعاً لم تستبعد احتمال الزبون المسلم وقد صنع حوض وصينية للسلطان نجم الدين أيوب[٢] صورة ٦٤ الذي حكم ديار باكر ١٢٣٢ - ١٢٣٩ دمشق ١٢٣٩ - ١٢٤٥ - ٤٩)

---

(١) صلاح الدين: هو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، كان أبوه وأهله من قرية دوين (في شرقي أذربيجان)، من الأكراد، ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢ هـ الموافق ١١٣٧ ، له أعمال خالدة، توفي سنة ٥٨٩ هـ الموافق ١١٩٣ م.

(٢) نجم الدين: هو أيوب (الملك الصالح)، بن محمد (الملك الكامل) ابن أبي بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين من كبار الملوك الأيوبيين بمصر، ولد في القاهرة سنة ٦٠٣ هـ الموافق ١٢٠٦ م، كان



صورة (٦٤) ص (٨٥)

حوض من النحاس المطروق والمطعم بالفضة صنع للسلطان نجم الدين أيوب (١٢٣٢ - ١٢٤٩) يظهر اسم السلطان في داخل الحوض وخارجه ربما صنع الحوض بعد أن استلم السلطة عام ١٢٤٧ . بالاضافة إلى مشاهد الحرب العادية وزخارف الرقش والأفاريز المكتوبة.

الارتفاع ٢٣,٣ سم دمشق. ١٢٤٧ - ١٢٤٩م.

ومصر (١٢٤٠ - ١٢٤٩) وقد زخرفت بمشاهد صليبية وكانت تمثل تفوق الإسلام على المسيحية وذلك من خلال الحروب الصِّليبية.

- غرب إيران -

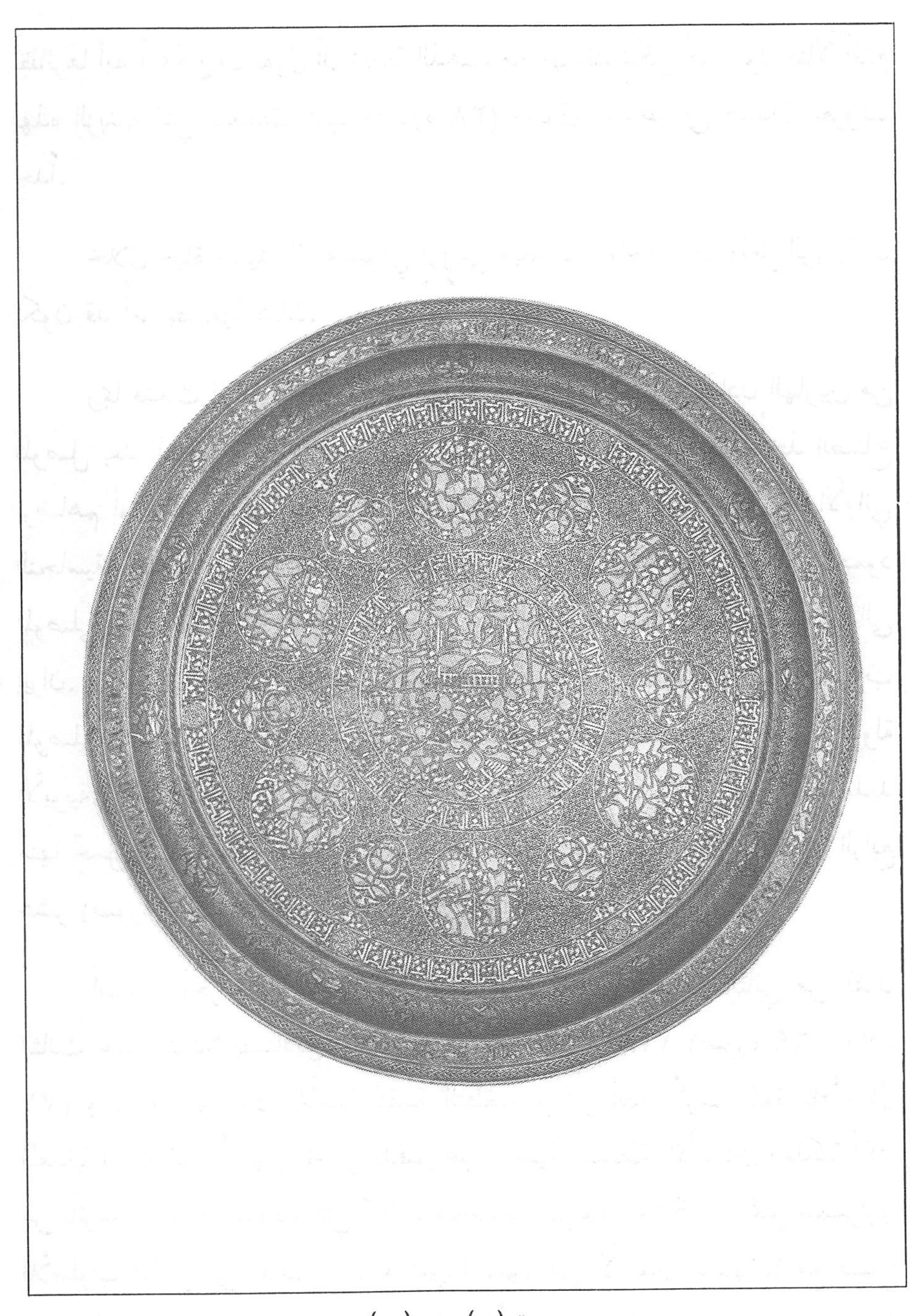
الأعمال المعدنية الكثيرة التي صنعت في غرب إيران خلال القرن الثاني عشر لم تعرف بالشكل الكافي وقد كانت الأعمال المعدنية الخراسانية تعتبر اعمالاً للتصدير مثل قساطل بابرتيسكي وكانت تصنع لتاجر من زانجان (صورة ٥٤) وهناك العديد من الأواني موجودة في متاحف محلية تثبت أنها صنعت في غرب



صورة (٦٥) ص (٨٦)
زبدية طليت بالفضة بجوانب بارزة وزخارف منقوشة صنعت لبدر الدين قراقوز وقد حفر اسمه على حوافي الزبدية كذلك تصور الزخارف دوائر تتضمن زخرفة وطائر خرافي برأس امرأة وذلك على أرضية مغطاة بالدوائر. بالشكل تنتمي هذه الزبدية الى الطراز القديم ذي القاعدة العائدة الى القرن الثاني عشر.
القطر ٢٠,٧ سم. غرب إيران من المحتمل همدان ١٢٠٠ ـ ١٢١٩

إيران وتحت التأثير الشرقي القوي. وقد توضحت الأوضاع قليلاً في القرن الثالث عشر إلا أن معلوماتنا بقيت محدودة ومقتصرة على عدد قليل من الأشياء بعضها ذات نوعية جيدة والتي استعصت محاولات تحديد التواريخ.

بعد أن حصلنا هذه المعلومات والوصف الموجود على الزبدية الفضية التي تعود إلى مجموعة كير Keir (صورة ٦٥) وبدت أهميتها العظمى، حيث يمكن تحديد تاريخها ومصدرها ببعض الدقة. الكتابة حول حوافي الزبدية تحمل اسم ولقب بدر الدين قراقوز (١٢١٩ م) وسلطته في غرب إيران تضمنت الحكم في همدان عام ١١٩٤ ومناصب عليا أخرى. صفات الزبدية تنبئنا بوضوح أنها تعود إلى الأعمال المعدنية الغالية التي كانت سائدة في تلك المنطقة في ذلك الوقت. من



صورة (٦٦) ص (٨٧)
صينية من النحاس المطعم بالفضة والذهب ربما صنعت على يد صانع من الموصل واخذت الى قصر الإنحانيين في تبريز.
القطر ٤٦,٣ سم غرب إيران (؟) أواخر القرن الثالث عشر

نظائرها أيضاً يمكن أن نقول أن زبدية الذهب من نهاوند يمكن أن تكون مثالاً أقدم لهذه الزبدية التي نتحدث عنها (صورة ٣٨) وسوق الصاغة في همدان معروف جداً.

خلال حياة حميد الله مستوفي قزويني وبعد قرن واحد فقط ولعل الزبدية أن تكون قد أُمر بصنعها هناك.

ربما قدمت إيران المكان وفرص العمل للعديد من صناع المعادن الهاربين من الموصل بعد الغزو المغولي لتلك المدينة سنة ١٢٦١ م وبالتأكيد فقد أُخذ الصناع برضاهم أو بغير رضاهم للعمل في قصور الإنحانيين فقد وجد كنز من الأواني النحاسية المطعمة في بازنجرد بالقرب من همدان وعليها توقيع علي بن حمود الموصلي (تاريخها ١٢٧٤) وهو دليل هام على أن الأسلوب الموصلي قد وصل الى إيران. وكذلك وجدت العديد من الأشياء التي نسبت إلى سورية وتحمل الأسلوب الموصلي لا تشبه ولا تمت بصلة إلى الأعمال المعدنية التي كانت تصنع ضمن الدولة الأيوبية ولابد وأن يعاد نسبها الى إيران أيام حكم الإنحانيين (صورة ٦٦) فالعديد منها تحمل صفات وأشكال طورها فيما بعد صناع المعدن في إيران في القرن الرابع عشر (صورة ٦٧ - ٦٨)

أسلوب آخر وكان سائداً في غرب إيران خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر متمثلاً بصناديق الأقلام يعود تاريخه الى ١٢٨١ (صورة ٦٩ - ٧٠ - ٧١) وهي إحدى أدق الأمثلة لتقنية التطعيم ويبدو أنها تأثرت بقوة بالأعمال المعدنية الخراسانية بأسلوب الحفر الدقيق على أرضية منبسطة بالأشكال الفلكية أكثر من تأثرها بالصناعة المعدنية التي كانت سائدة في الموصل. ويمكن أن تمثل استمرارية للأسلوب الأولي في غرب إيران والذي استلهم من الأعمال المستوردة مع صناع وخراسان الصفة الهامة في هذه الصناديق أنه تم استبدال معدن النحاس بمعدن الذهب في عملية التطعيم وهذا ما آل إليه الأمر حتى نهاية القرن الثالث عشر، وعلى الرغم من أن مادة التطعيم بقيت الفضة.



صورة (٦٧) ص (٨٨)

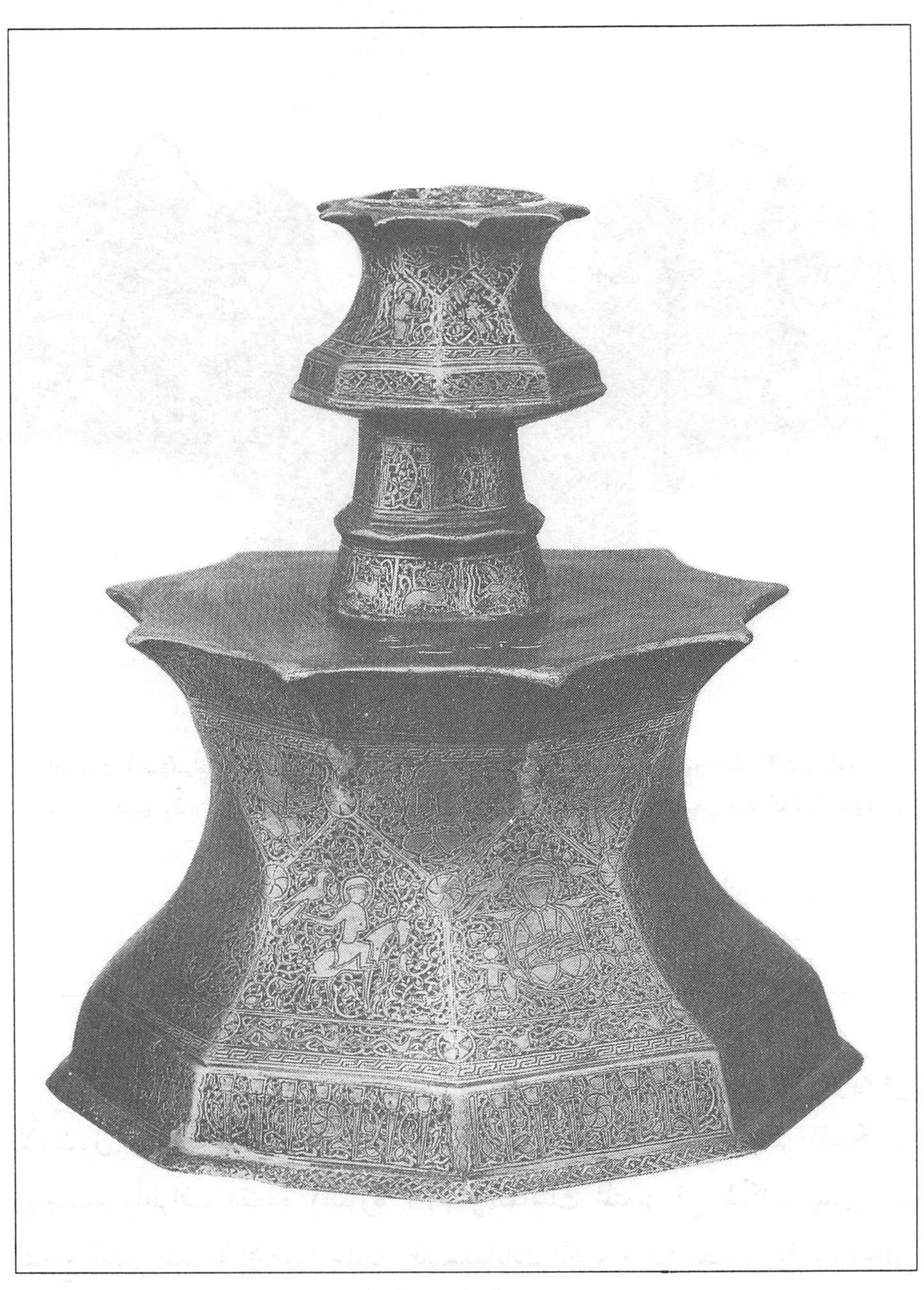
شكمجيات (صناديق للجواهر) من النحاس المسكوب والمطعم بالفضة تظهر التاثير الكبير للمدرسة الموصلية بالأفاريز والدوائر المصممة على أرضية هندسية وزخرفة الكلمات وتتضمن تباريك لمالك مجهول.

الارتفاع ١٣ ـ ١٤ سم.

جنوب أو غرب إيران القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر.

ـ الأناضول ـ

أسلوب آخر نسب إلى شمال العراق وغرب إيران والآن ينسب إلى قونيه في الأناضول. وغالبية الأشياء في هذه المجموعة هي شمعدانات من النحاس المسكوب وبأجسام وأطراف مقعدة (صورة ٧٢) والتماسك المتميز في شكلها يتباين مع التنوع الكبير للكتابة المحفورة عليها. الشمعدانات المصورة هنا تتضمن واحداً مغطى بنجيمات صغيرة على أرضية من الضفائر المعقدة والثاني مغطى برسوم من الكواكب والثالث بدوائر كبيرة تتضمن رسوم فرسان وبعض النشاطات التي كانت تقوم في القصور كما أن شمعدانات أخرى في تلك المجموعة (غير مصورة هنا) قد استعارت بعض صورها من الأعمال الفنية التي كانت سائدة في ذلك العصر أو



صورة (٦٨) ص (٨٩)

شمعدان من النحاس المسكوب نقش بالأشكال الملكية على كل وجه من وجوهه وطعم بالفضة وقد صورت على العنق العنقاء (الطير الخرافي) والغزلان وعلى لوحات أو صفيحات صغيرة حوله وتدل على بداية التأثير الصيني جلبها المغول عندما اجتاحوا إيران من الشرق.

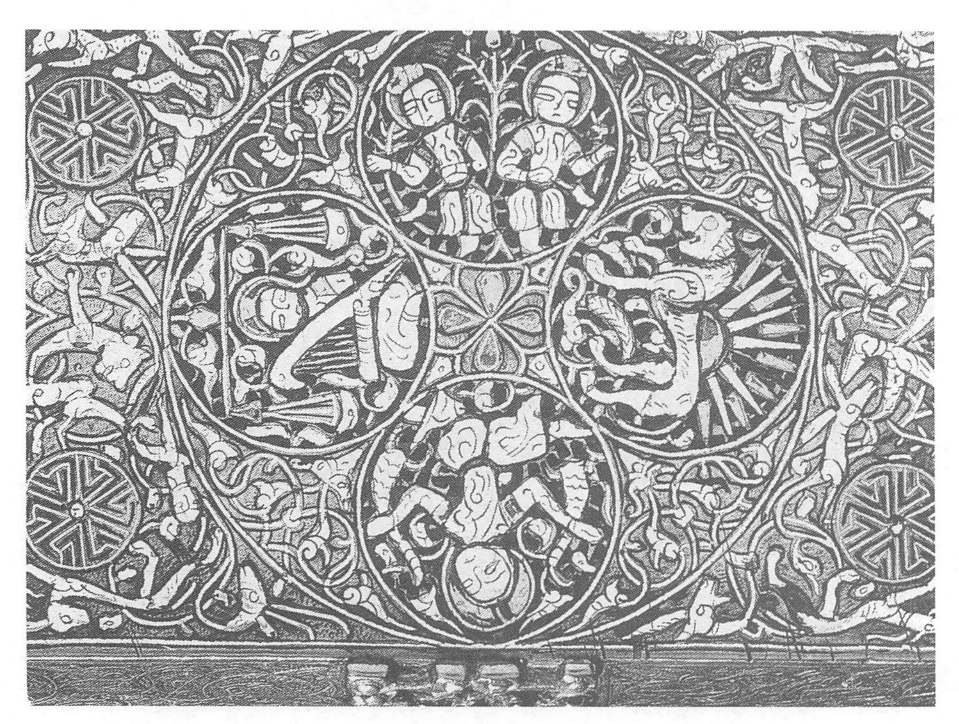
الارتفاع ٢٣,٧ سم غرب إيران أواخر القرن الثالث عشر



صورة (٦٩) ص (٩٠)

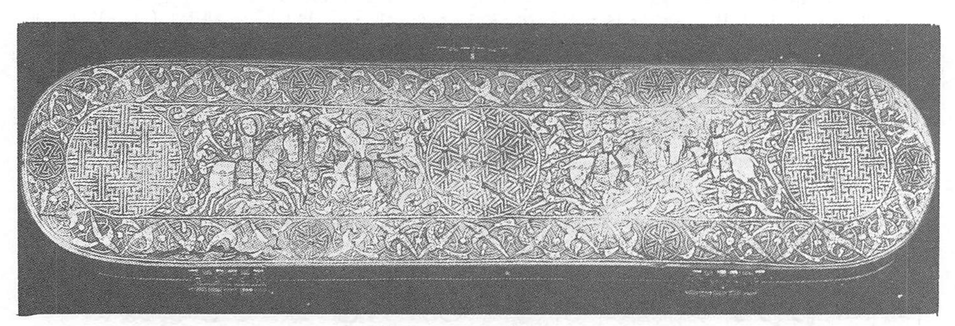
صندوق قلم من النحاس المسكوب والمطعم بالفضة والذهب موقعة تحت الابزيم من قبل محمود بن سنقر ومؤرخه ٦٨٠ هـ ١٢٨٠ م. ويغطى الصندوق برؤوس وأطراف حيوانات متشابهة مع بعضها يقطع هذا التشابك ميداليات ودوائر تحتوي على أشكال ملكية راقصين موسيقيين وزخارف نباتية وهندسية.
ولا يوجد كتابات ما عدا توقيع الصانع وهو يختفي عند إغلاق الصندوق والابزيم. صورت الأشكال الكوكبية السبعة داخل غطاء الصندوق (من اليسار) القمر، عطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، جوبيتر، السيار (زحل) أما القسم الداخلي من الصندوق فيحتوي على زخارف تضم الموسيقيين وحيوانات.
وخطوط متشابكة محاطة بجلد ملون.
الطول ١٩,٧ سم غرب إيران ١٢٨١ م.

توالي الفصول هذا التنوع في مصادر الصور وفقدان الاهتمام بنماذج الأساليب هي الصفة المميزة للفن والعمارة في الأناضول تحت حكم السلاجقة والزخرفة بالتطعيم والظاهرة على القطع الأولى يمكن مقارنتها بالأعمال المعدنية التي ظهرت في الموصل ويمكن أن تكون من عمل بعض الصناع الذين هاجروا من الموصل ولكن هذا النوع استمر حتى القرن الرابع عشر.



صورة (٧٠) ص (٩١)

تفصيل للجهة العليا من صندوق الأقلام صنعه محمود بن سنقر الصورة (٦٩) القسم الخارجي من الغطاء يحتوي على دوائر في ثلاث مجموعات كل واحدة تحوي أربع دوائر وتتضمن رموز الكواكب والأبراج وفقاً لعكس دوران عقارب الساعة. من أعلى الدائرة المركزية يوجد عطارد في برج العذراء. (تصوير مزدوج للكواكب) الشمس في برج الأسد (الشمس تصعد ظهر الأسد) المريخ في العقرب ممثلاً بمحارب يمسك عقربين من أذنابهما. والزهرة في الميزان (عازفة على القيثارة تجلس تحت ميزان).



صورة (٧١) ص (٧١)

قاعدة صندوق اقلام (الجهة السفلية) صنعه محمود بن سنقر (الصورة (٦٩) إن غرابة وروعة هذا الصندوق تتمثل ايضاً من خلال الزخارف الموجودة في قاعدته وهي لن تظهر بالشكل الطبيعي. زوجان من الفرسان يتبارزان ويصيدان بين ثلاث دوائر كبيرة مليئة بالتصاميم الهندسية المتداخلة، وهناك افريز من العصافير الطائرة مفتوحة الجناحين. وهي بمثابة إطار للزخارف التي ذكرناها في القاعدة.



صورة (٧٢) ص (٩٢)
شمعدانات من النحاس المسكوب منقوشة ومطعمة بالفضة مظهراً تنوع التصاميم المستعملة لزخرفتها.
الارتفاع ٢٠ ـ ٢٢ سم
قونين الاناضول القرن ١٤ ـ ١٥

انتشرت تقنية التّطعيم بسرعة عبر الدولة الإسلامية وقد ألفه الصناع وأحبه طالبو هذه السلع والنحاس المطعم لم يكن فقط البديل المقبول للعديد من النّاس لأسباب دينيّة ولكن لأسباب مادية أيضاً. كما ساهمت الزّخارف في جعلها مرغوبة لدى الجميع وازداد طالبو هذه السلع والمستعدون لدفع أثمان المعادن الثمينة. للتطعيم وقد ساهم التطعيم في تطوير التصاميم الشكليّة والهندسيّة وأشكال الزُّهور والكتابات والزّخارف الأخرى وشجع أيضاً على ظهور التصاميم المتداخلة والمعقدة ويبدو أن تلك القطع كانت تصنع بشكل عام للأسواق أكثر مما كانت تصنع لشخص واحد فقط أو مجموعة من الناس. ولكن الأواني التي صنعت للسلاطين الأيوبيين تشير إلى من سيملكها.



صورة (٧٣)
قدح من النحاس المطعم بالفضة والذهب. الكتابة الشعرية حول الحوافي تشير إلى عمل القدح كآنية للشراب والزخرفة تتضمن اشخاصاً يمرحون. الارتفاع ١٢,٧ سم.
إيران القرن الرابع عشر.

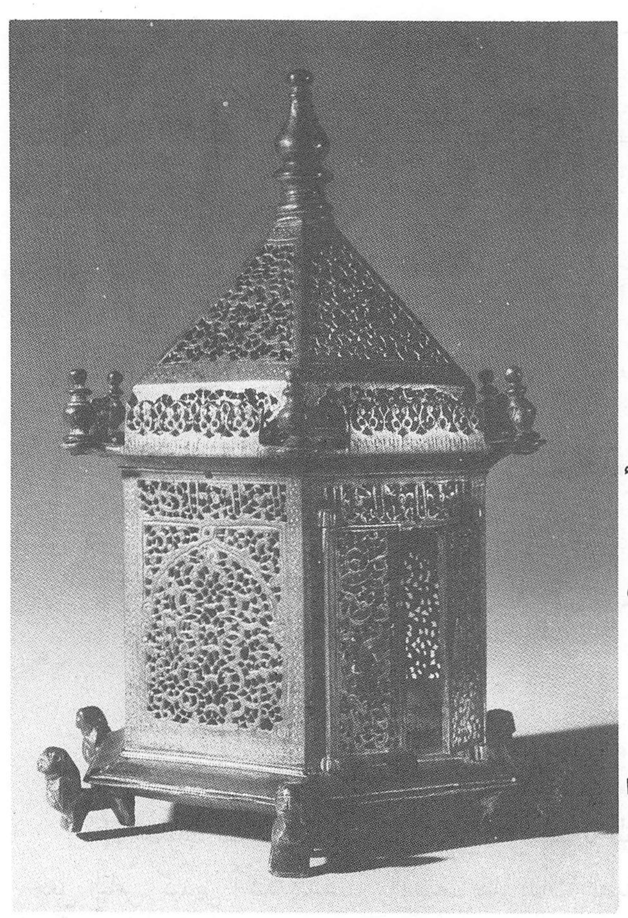
ـ ٦ ـ

الشعر والدعاية

١٣٠٠ ـ ١٥٠٠

إن أسلوب تطعيم النحاس الذي أدخل على صناعة المعادن خلال القرنين الماضيين في جعل الناس كبديل أكيد للذهب والفضة. فقد بدأت الطبقة الغنيّة تستغله بطريقة أخرى مثلاً. القطع التي تعود إلى المماليك بشكل خاص (صورة ٨٨) استغلت استغلالاً كاملاً لتخدم النقوش التي تنبئ عن اسم صاحبها ومركزة بحيث أصبحت تصنع هذه القطع بقصد الدعاية أكثر من استعمالها بقصد المتعة والفائدة. هذا النوع من التفاخر الشخصي كان مستحباً في إيران أيضاً ولكن الأمثلة الإيرانية كانت تزود بالقصائد والأشعار (صورة ٧٣) أكثر من ذكر الأسماء والألقاب بالإضافة الى زخارف ومخطوطات. وقد تأثروا في ذلك بالفن الصيني المصدر إليهم. وكلا الأسلوبين يعكسان حياة وذوق القصر الملكي وهذا ما كان يهم ويؤثر على صناعة تطعيم المعادن في ذلك الوقت.

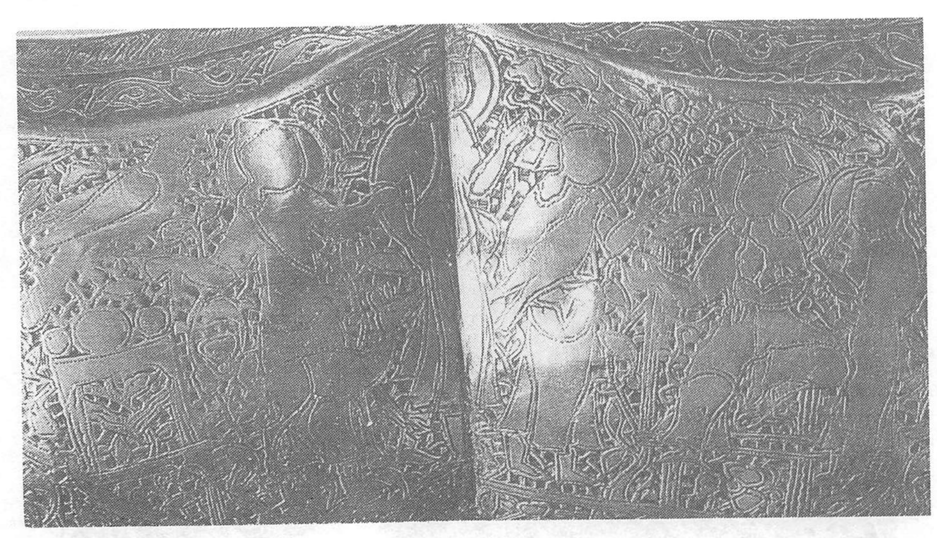
ولكن الوضع اختلف في القرن الخامس عشر حيث أصبح ثمن الذهب والفضة غالياً جداً، حتى لم يعد بإمكان طالبي هذه القطع المعدنية تبديد ذلك المعدن الغالي لتطعيم النحاس وبهذا أصبح النحاس المطعم نادراً جداً. والأقل منه استعمال الذهب والفضة. وهكذا اتجه صانعو المعادن بجنون الى الأسواق الأوروبية.



صورة (٧٤)
مصباح من النحاس بزخارف متداخلة ومفرغة من الرقش وكتابات التبريك إنه شبيه بالأشياء المفرغة في شمال افريقيا وهي مصابيح على شكل الأجراس. مثل تلك التي ما تزال معلقة في مسجد القرويين في فاس. تفاصيل الزخارف المفرغة يمكن مقارنتها بالأعمال الجصية في الأبنية، في المغرب واسبانيا. الارتفاع ٢٩ سم المغرب أو اسبانيا القرن الرابع عشر.

تصادف انحدار تقنية التطعيم مع تزايد استيراد التصدير. فالأواني المعدنية المصنوعة بخليط النحاس والقصدير أصبحت أكثر شيوعاً وخاصة طلاء الآنية بالقصدير من الداخل والخارج هذه التقنية حلت مكان النحاس المعطم وذلك لرخص القصدير وغلاء الذهب والفضة وأصبح له تأثير فعال على تطور الصناعات المعدنيّة فيما بعد.

اسبانيا وشمال افريقيا بقيتا خارج مجال الصناعات المعدنية خلال حكم الدولة الإسلامية فلم تكن تقنية تطعيم المعادن قد مورست بشكل واسع في الجهة الغربية من الدولة الإسلامية ثم إنَّ التصاميم الهندسية والرقش والمخطوطات التي كانت سائدة هنا لا توحي بأنهم كانوا جنباً إلى جنب مع تطورات تلك الصناعة في ذلك الوقت (صورة ٧٤)



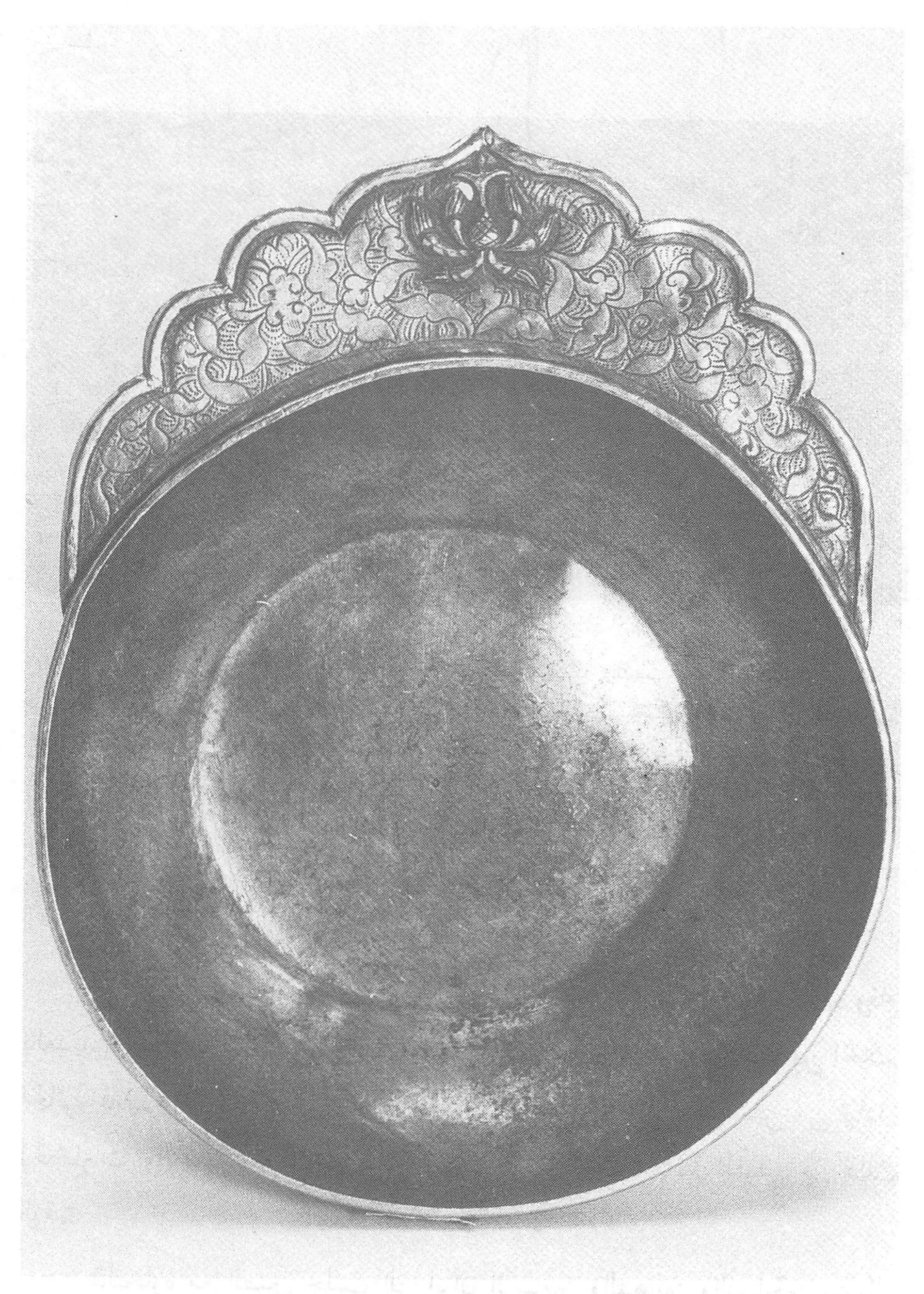
صورة (٧٥)

تفصيل من حوض من النحاس بجوانب لامعة مطعمة بالفضة والذهب الجدران الداخلية للحوض مزخرفة بمشاهد من حياة البلاط الملكي المغولي بنفس الاسلوب الذي رسمت فيها المنمنمات المعاصرة لهذا العمل. هذا التفصيل يظهر تتويج الحاكم مع الحاشية كل الأشكال لها صفات الشعب المغولي. ازهار اللوتس أوفانيا مستوحاة من الأواني المستوردة من الصين والمنسوجات الصينية. القطر كله ٧٧ سم. ربما في تبريز أوائل القرن الرابع عشر.

إيران وأفغانستان

حكم قازان من الانحانيين المغوى إيران وأصبح مسلماً عام ١٢٩٥ م. وقام بالعديد من التبديلات لتصليح ما قاموا به من خراب خلال سبعين عاماً من الحكم الجائر. فقصره في تبريز أصبح مركزاً مشعاً للعلماء والأدباء مستفيدين من تبادل الحضارات والأفكار مع الصين التي كانت أيضاً تحت الحكم المغولي في ذلك الوقت.

فالتجارة مع الصين جلبت الى إيران الرسامين والدهانين والنساجين وعمال البورسلين وصناع الفضة وحتى الصناع المهرة. وكان تأثيرهم واضحاً ومرئياً على الصناعة المعدنية في ذلك الوقت البرونز الصيني، وكانت القطع المصنوعة منه ثقيلة وكان استعماله خاص ويناسب المجتمع الصيني. ولم تكن تستورد أي من تلك



صورة (٧٦) ص (٩٨)

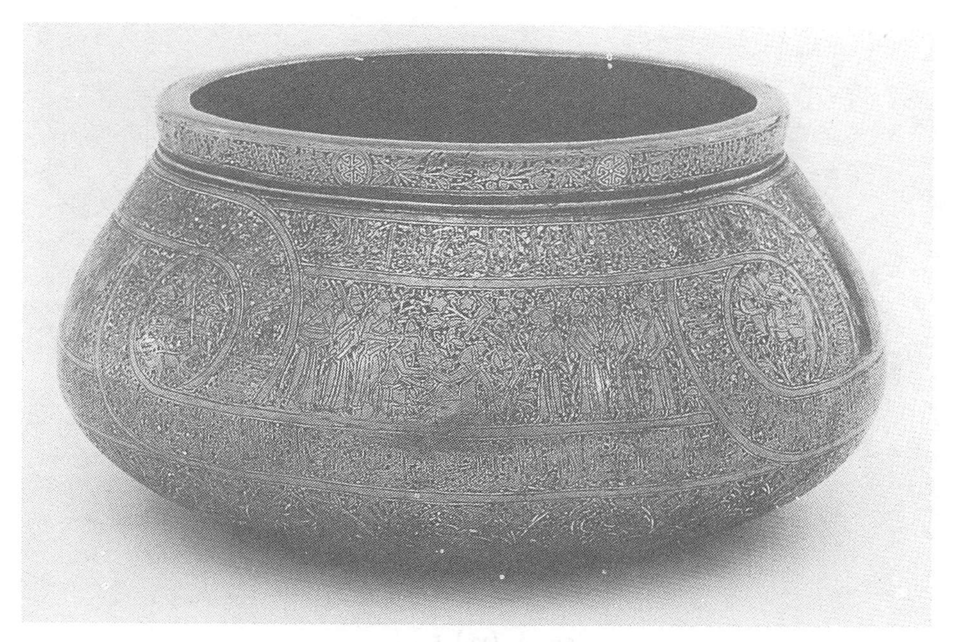
زبدية من النحاس بمقبض نافر نقش عليه ازهار اللوتس وتصاميم نباتية اخرى وبالاسلوب الصيني.
وجد ضمن اثار تومولوس في وادي كاشقر شرق طشقند.
القطر ١٤,٥ سم أواسط آسيا ١٣٠٠ م.



صورة (٧٧) ص ٩٨
زبدية من النحاس المطعم بالفضة بشكل الزبدية والكتابات تقارن بالزبادي المملوكية ومن نفس التاريخ انظر صورة (٨٩)
القطر ٢٤ سم شيراز منتصف القرن الرابع عشر.

القطع. أما الصناع الإيرانيون فقد استمروا في استعمال الأشكال التقليدية واستعمال طرق التصنيع لأوانيهم النحاسية واقتصر التأثير الصيني على الزخرفة والتي كانت تُرسم بأشكال متنوعة ومقاسات مختلفة.

الجدار الداخلي لحوض في متحف فيكتوريا وألبرت (صورة ٧٥) يضم مشاهد تصور تتويج حاكم مغولي مع حاشيته. فأسلوب الشعر والقبعة المغولية التقليدية واضحة في الرسوم، وفي التركيبات المتقنة والمدروسة من مجموعات الأشكال. وبعضها يظهر في ثلاثة أرباع المشهد. والمشاهد الطبيعية تظهر الشعور بالمبالغة والتي من الممكن أن يكون لها شبيه في تصاميم تبريز ولكنها كانت غير معروفة في التصاميم الإيرانية قبل قدوم المغول. قاعدة الحوض نفسه مزخرفة بدوائر ولوحات تحتوي على رسوم تمثل أكثر من تنين في حالة دوران وطيور العنقاء ونبات اللوتس وزهر الفاونيا. وهذه كلها استلهمت من الفنون الصينية المزخرفة مثل فن التطريز الذي كان يعجب البلاط الملكي المغولي جداً.



صورة ٧٨

زبدية من النحاس المنقوش عليها مشاهد من البلاط الملكي وتباريك وأشعار مطعمة بالفضة والذهب. الجزء السفلي مزخرف بأزواج من الطيور في دوائر فردية في الداخل. تصميم معقد من الأسماك ومخلوقات أخرى.

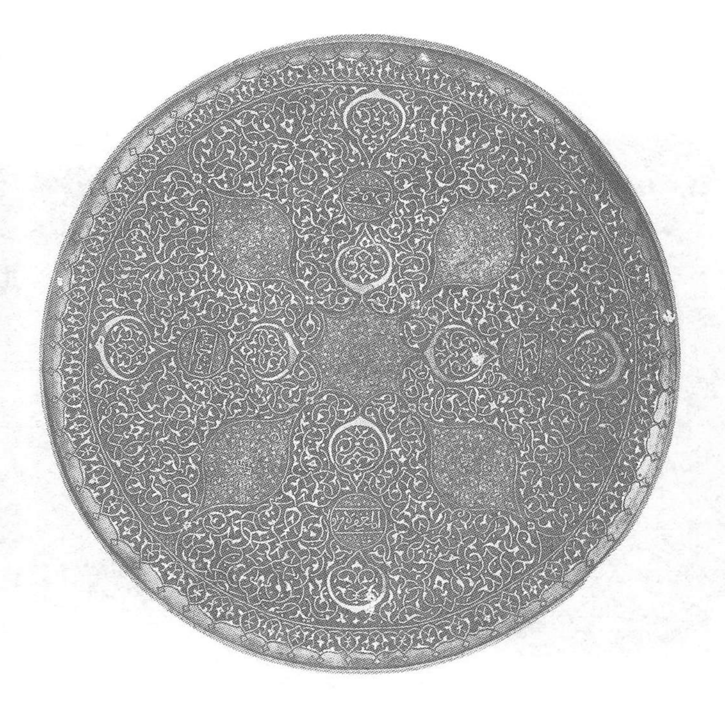
القطر ١٧,٨ سم شيراز أواخر القرن الرابع عشر.



صورة (٧٩)

مرجل من النحاس المسكوب. هذا النوع من المراجل المزخرفة كانت مناسبة للاستعمال في الولائم التي تقام في الخلاء وكانت مناسبة للاستعمال في الولائم خلال الفترة الاسلامية (انظر صورة (٧ و ٨) القوائم الثلاثة تمكن المرجل من التسخين فوق النار بعد ذلك يمكن سكب مضمون هذا المرجل من البزبوز.

القطر ٦٢ سم خراسان القرن الرابع عشر.

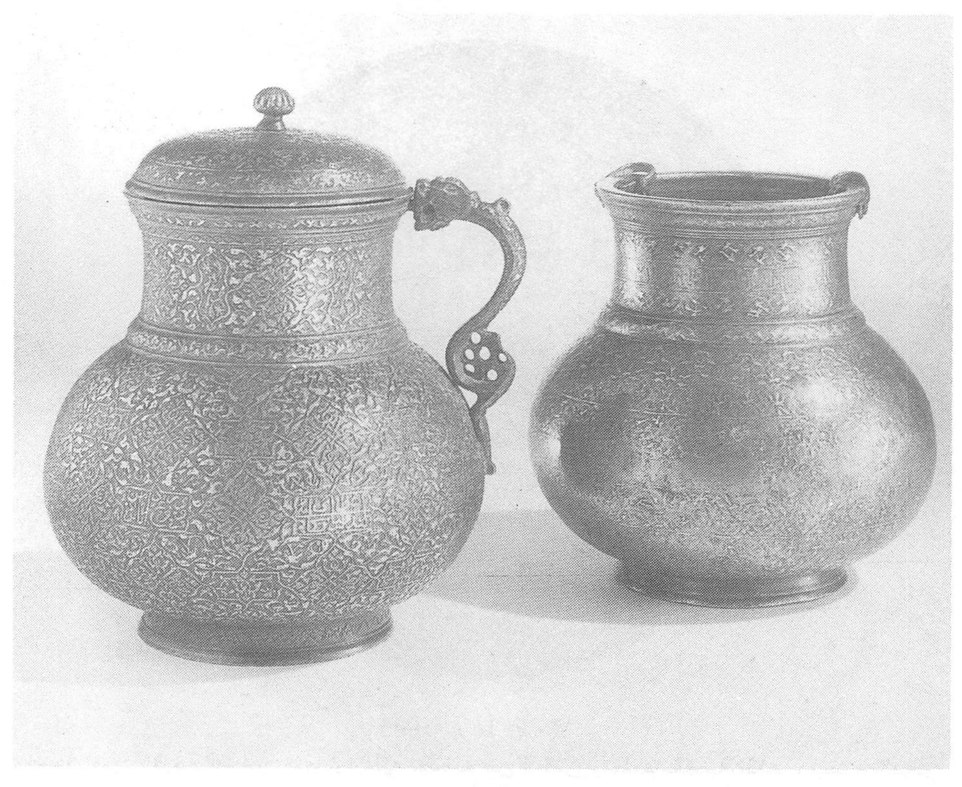


صورة (٨٠) ص ١٠٢

صحن من صفيحة النحاس منقوش عليه تصميم من الرقش ومطعم بالفضة والذهب يحتوي الدوائر الأربعة وتوقيع معلم التطعيم محمود الكردي الذي ظهر توقيعه على قطع معدنية اخرى كما تداخلت التصاميم من الرقش داخل الحقول المحاطة بسلك رفيع. واستعمال الأرضية المهشرة كانت سائدة في ذلك الوقت.

القطر ٢٩ سم شمال غرب إيران - أواخر القرن الخامس عشر.

وبشكل مغاير للقطع البرونزية ذات الاستعمال الديني فقد كانت تصدر الأعمال الفضية الصينية الى الشرق الأوسط وكانت تقلد من قبل الصناع المحليين وقد أنتجوا العديد من الاقداح الفضية والزبادي بزخارف منقوشة ومطلية ومقابض برؤوس تنين (صورة ٧٦) بعضها تقيدوا بالنماذج الصينية من حيث الشكل والزخرفة أيضاً ومعظم الأواني المتبقية إلى يومنا هذا موجودة في متحف الإرميتاج وقد أميط عنها النقاب من القبور في المنطقة الشمالية الشرقية للاتحاد السوفياتي سابقاً، وفي أراضِ احتلها المغول ولكن كانت هناك أوانِ شبيهة بها يملكها أبناء عمومتهم في إيران رسمت عليها صور من تلك الفترة.



صورة (٨١) ص ١٠٣
إبريقان من النحاس المسكوب مطعمين بالفضة والذهب والزخرفة بالرقش الدقيق على الابريق المغطى بغطاء نثرت عليه اشعار إيرانية نظمها حافظ الابريق الثاني (فقد غطاءه ومقابضه) يحمل اسم ولقب الحاكم التيموري الذي حكم خراسان ابو الغازي سلطان حسين (١٤٧٠ ـ ١٥٠٦) وقد تم التوقيع على القاعدة من قبل محمد بن شمسي غور (شرق هيرات) ومؤرخ في شعبان ٩٠٤ هـ. نيسان ١٤٩٨م.
الارتفاع مع الغطاء ١٦,٥سم. هيرات أواخر القرن الخامس عشر.

وقد تأسست مدرسة خاصة لصناعة المعادن نشطت خلال القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر وذلك في شمال إيران في إقليم فارس ربما في العاصمة شيراز. كان يحكم فارس دولة الأنجويين خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر وعلى الرغم من أن الأنجويين قد هزموا وحل محلهم (المظفرين) عام ١٣٥٠ إلا أنه لم يحدث أي انقطاع في انتاج صناعة المعادن في المنطقة ولا حتى في الأسلوب طبعاً.

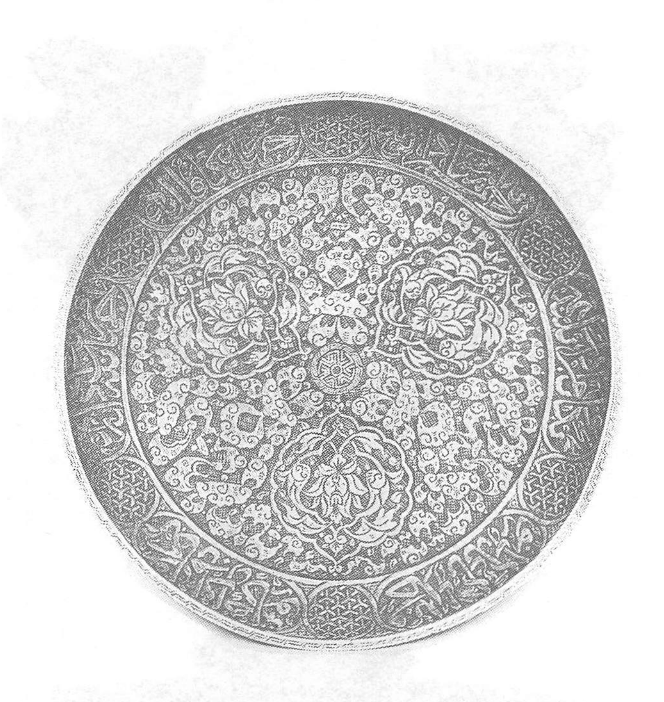
اتصفت صناعة المعدن في فارس باستعمال الخطوط الواضحة في تمجيد السلطان والذي في الغالب يبقى غير مسمى الكلمات على الزبدية. تقول (صورة



صورة ٨٢ ص ١٠٤

شمعدان براسي تنين من النحاس المسكوب المنقوش عليه سباق حيوانات التنين وكان رمزاً للخسوف القمري والشمسي في علم الفلك الإسلامي ولذلك كانت وبشكل خاص مناسبة لزخرفة الشمعدان بينما تذوب الشمعة وتنزل يبدو التنين وكأنه يبتلع مصدري الضوء.

الارتفاع ٢٥,٥ سم خراسان القرن الخامس عشر.



صورة (٨٣) ص ١٠٦
صحن من النحاس المسكوب بنقوش وزخارف مطلية من ازهار اللوتس ضمن تصاميم صينية للغيوم. واشعار تضم امنيات جيدة ومكتوبة بخط جميل حول الصحن.
الارتفاع ٩٠٢ (١٤٩٦ ـ ١٤٩٧)
القطر ١٨,٩ سم. ايران ١٤٩٦ ـ ١٤٩٧

٧٧): المجد لمولانا السلطان الأكثر عظمة وعدلاً وعلماً. الملك الذي يُخضع الأمم سيد سلاطين العرب والعجم.

بعثرت الألقاب ضمن مشاهد من البلاط الملكي؛ التتويج ـ الرياضة الأشكال المتطاولة المستلهمة من رسوم المنمنمات المعاصرة لتلك الفترة. الزبادي ذات القعر المدور. مثل تلك كانت تصنع بكميات أما بقية الأواني فكانت تتضمن الشمعدانات الشكمجيات والقساطل والأباريق.

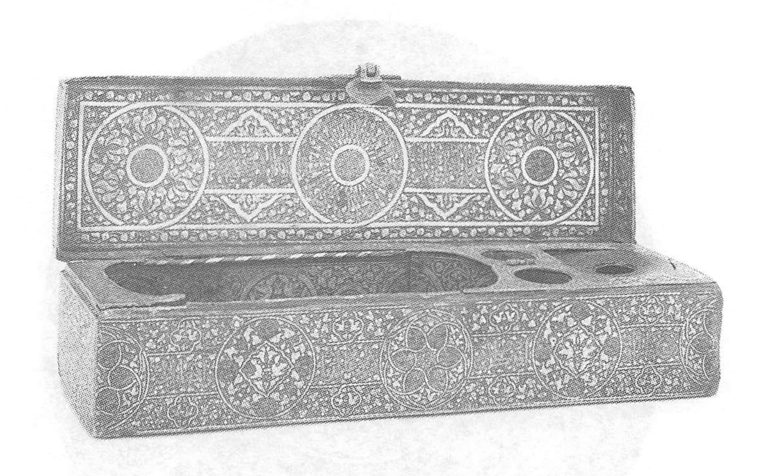
الصناعة المعدنية في فارس كانت ثابتة بشكل مميز فيما يخص التقنية والشكل والأسلوب ونسبتها الى فارس وجدت على مثالين في متحف الأرميتاج وتحمل اسم الحكام الأنجويين تتضمن ألقابهم «ولي عهد مملكة سلمون» هذا اللقب استعمله عدة



صورة (٨٤) ص ١٠٧
مرآة من الفولاذ المطعم بالفضة والذهب يحمل اسم زوجة أمير غير معروف تظهر في الكتابة الشعار في الوسط. وتمثل الجزء الداخلي من صندوق أقلام بأجزائه المفصلة للأقلام والحبر والرمل توحي ان لزوج هذه السيدة منصب أمين القصر.
القطر ٢١ سم القاهرة منتصف القرن الرابع عشر.

حكام في اقليم فارس وقد تكرر في عدة أشياء أخرى من الصناعات المحلية. والمثير للدهشة أن معظم هذه الأواني التي تحمل ألقاباً ملكية لم تذكر اسم أي حاكم بشكل خاص ولذلك من الصعب تحديد التقويم التاريخي لها. أما التنويع في الأسلوب فيمكن أن يكون سببه اختلاف ورش العمل، وليس التواريخ، وعلى الرغم من ذلك فإن أعقد تصاميم المنمنمات ربما تعود الى أواخر القرن الرابع عشر أو حتى الخامس عشر (صورة ٧٨).

وتمثل مجموعة من الأقداح صنعت من البرونز المعالج في مدرسة أخرى من مدارس الصناعة المعدنية في القرن الرابع عشر في إيران. على الرغم من أنها لم تنسب إلى مركز محدد. فزهر اللوتس والفاونيا تجسدت في الزخارف والعديد من



صورة ٨٥ ص ١٠٧

صندوق اقلام من النحاس المطعم بالفضة والذهب الكتابات الشعاعية داخل الغطاء وتتضمن اسم مملوك غير معروف.

الطول ٣٠,٧ سم القاهرة او دمشق منتصف القرن الرابع عشر.

الأقداح. كتب عليها أشعارا تشير إلى بحث الاسكندر عن ينبوع الحياة (صورة ٧٣)

«..................

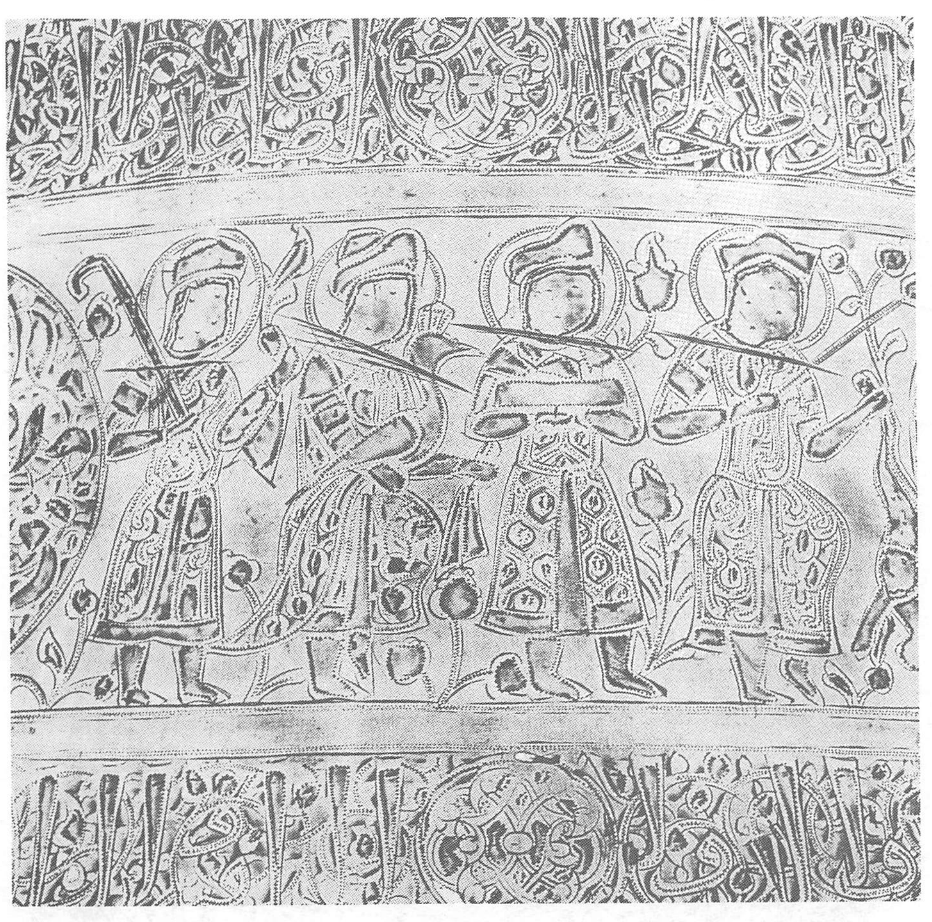
أيها الينبوع الرقراق لسعادتنا

إذا لم يكن الاسكندر قد رآك

أيها الآنية التي تعكس العالم

كيف كان لعقله أن يتخيل ينبوع الحياة»

إن فن الصناعة المعدنية في شرق إيران وأفغانستان بعد الهجوم المغولي في عام ١٢٢٠ بقي تقريباً غير معروف ومجموعة من المراجل المسكوبة يمكن أن تساعد لملء هذا الفراغ على الرغم من أن هذه الأواني كانت عملية الاستعمال في البداية (صورة ٧٥)، الا أنها كانت تزخرف بنحت بارز دقيق جداً لحيوانات تسند المقابض وكتابات على الحافة البارزة والتي غالباً ما تحتوي أيضاً على توقيع صانعها. كانت تلك المراحل كتمهيد لظهور خزان الماء الكبير الذي استخدم في مسجد هيرات في ٧٧٦ هـ و١٣٧٤ ـ ١٣٧٥ م. وكذلك أمر تيمور بصناعة خزان أكبر



صورة (٨٦) ص ١٠٩

تفصيل لشمعدان مزخرف بموكب أميري. أحدى الأشكال تحمل صندوق اقلام امين القصر (انظر الشكل ٨٤ و ٨٥) الأشياء التي يحملها الشخصيات الأخرى تمثل مكانها في القصر، انتزعت رؤوسها فيما بعد من انسان غير راضٍ عن الزخارف الانسانية.

سوريا القرن الثالث عشر.

لضريح أحمد اليساوي بتاريخ ٨٠١ هـ و١٣٩٩ م بقياس ١٠٥٨ x ٢٠٤٣ م (صورة ١٢)

الميل الى التصغير في الزخرفة، شوهدت في الأعمال المعدنية اللاحقة للمدرسة الفارسية وأصبحت ظاهرة جداً خلال القرن الخامس عشر. وكانت جزءاً من التفضيل الجمالي للتصاميم المتشابكة والتي يمكن أن نجدها في كل الفنون. يتفق



صورة (٨٧) ص (١١٠)

مبخرة كروية مثقبة نقشت وطعمت بالفضة وخاص الكتابات (انظر الى ش ٨٨) وتتضمن اسم ولقب امير مملوكي مهم هو بدر الدين بايساري الذي مات في السجن عام ١٢٩٨ القاعدة اللفافة.

التصغير ـ بدون شك، مع تزايد ثمن الذهب والفضة، إذ حذفت مشاهد لصالح التصاميم الورقية والمتممة بأسلاك مطعمة.

في غرب إيران تمثل هذا الأسلوب بأعمال مجموعة محمود الكردي التي ظهرت تواقيع أفرادها على الكثير من الأعمال (صورة ٨٠) استعمل محمود الكردي وزملاؤه أسلاك الفضة لخلق تصميم متناغم بملء الفراغات المغلفة بنقوش من زخرفة الرقش الدقيقة وطومار على أرضية مهشرة حسنة. هذا الأسلوب من الزخرفة ولطواعيته، قد وجد على كثير من الأشياء، من أشكال وأحجام مختلفة بما فيها القساطل، والصنايا، والأباريق، والمباخر، والزبادي نصف الكروية بغطاء منبسط.

في الماضي كانت هذه المجموعة (كذلك مجموعات كبيرة من السلع المعدنية المعاصرة للعهد المملوكي) ـ كانت تنسب إلى الصناع المسلمين في البندقية، وهناك دلائل قليلة لدعم هذه الفرضية على الرغم من ذلك، فإن تلك القطع كانت تنسجم تمام الانسجام مع الأعمال المعدنية الإيرانية. ومن المعقول أكثر أن نفترض أنها صنعت حسب أسلوبها واسم محمود الكردي، في غرب إيران، ومن إيران صدرت الى اوروبا وقد احتفظ بالعديد منها ضمن المجموعات الأوروبية بعضها قلد شكل الأواني الأوروبية والصياغة الايطالية.

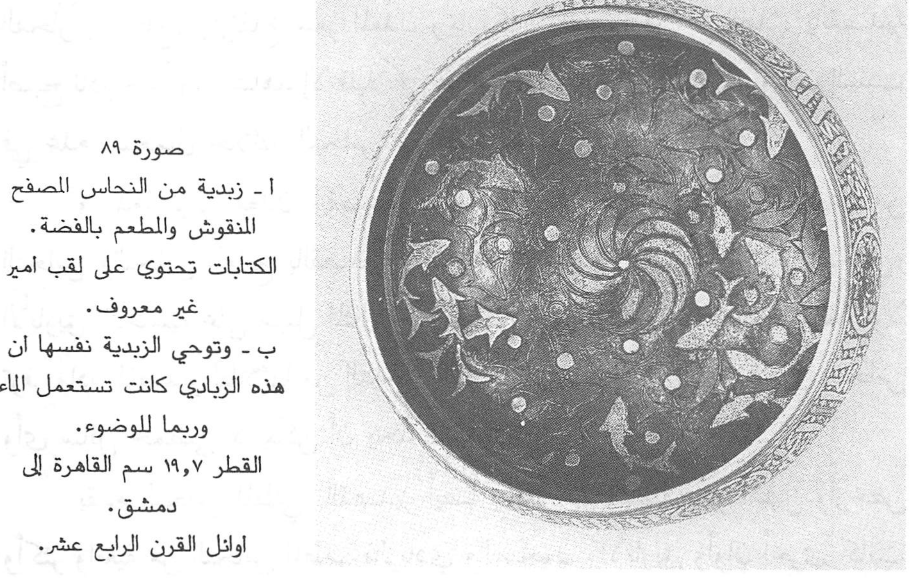
كما يمكن أن نشاهد جمالية مماثلة في الصناعة المعدنية في هيرات، لوحات صغيرة منقوشة (صورة ٨١) تنافس التصاميم النباتية والرقش ولكن التأثير المرئي تصميم السطوح المعقد المتناغم بتفاصيل منقوشة متداخلة ودقيقة (صورة ٨٢) هو نفسه. هيرات التي أسسها تيمورلنك عام ١٣٧٠ كانت مركزاً فنياً وأدبياً هاماً تحت الحكم التيموري. وصف معاصرو تلك الفترة الولائم التي كانت تجري مصحوبة بالموسيقا وإلقاء الشعر والنقاشات الأدبية. مثل هذه الحفلات كانت تصور برسوم في مخطوطات التيموريين (صورة ٧-٨). وأواني الشرب التي كانت تستعمل في تلك المناسبات هي أباريق بمقابض على شكل تنين من الجاد، وقد تكون من البورسلين أو الفخار أو المعدن. أما الأباريق النحاسيّة المطعمة فقد كانت تنقش عليها أشعار حافظ وغيره من الشعراء وتكون مناسبة تماماً لمثل تلك المناسبات (صورة ٨١)



صورة (٨٨) ص ١١١
حوض من النحاس المطعم بالفضة والذهب تحتوي الكتابة على اسم ولقب السلطان محمد بن قلاوون مات ١٣٤١ وشعاره عزُّ لمولانا السلطان وتظهر في وسط دائرة كبيرة ازهار اللوتس الظاهرة في الزخرفة تشير إلى تاريخ انتهاء حكم السلطان الطويل، والتاثير الصيني.
القطر ٥٣,٦ سم القاهرة أو دمشق (١٣٣٠ ـ ١٣٤١).

وقد عُرف أكثر من مئة إبريق من نفس الشكل والمقاس قد تم زخرفتها بهذا الأسلوب العديد منها موقعة من قبل صناع أسماؤهم توحي بأنهم أتوا من هيرات أو المناطق المحيطة بها. ومن تواريخها نستطيع أن نعرف أنها أنتجت في الفترة التي تمتد من النصف الثاني من القرن الخامس وحتى القرن السادس عشر.

وحيث أن الذهب والفضة أصبحا من المعادن الغالية جداً خلال القرن الخامس عشر فإن البورسلين الصيني والأواني المعدنية المطلية بالقصدير بدأت تهدد مكانة النحاس المطعم كبديل شعبي للأعمال المعدنية الغالية. والبورسلين استعمل أيضاً وبشكل دائم في القصور ولكن خلال هذه الفترة فإن كميات المستوردات من هذه الأشياء قد ساد بشكل كبير، حتى أن الصينيين قد صنعوا أوانِ صممت



صورة ٨٩

أ ـ زبدية من النحاس المصفح المنقوش والمطعم بالفضة. الكتابات تحتوي على لقب امير غير معروف.

ب ـ وتوحي الزبدية نفسها ان هذه الزبادي كانت تستعمل الماء وربما للوضوء.

القطر ١٩,٧ سم القاهرة الى دمشق.

اوائل القرن الرابع عشر.

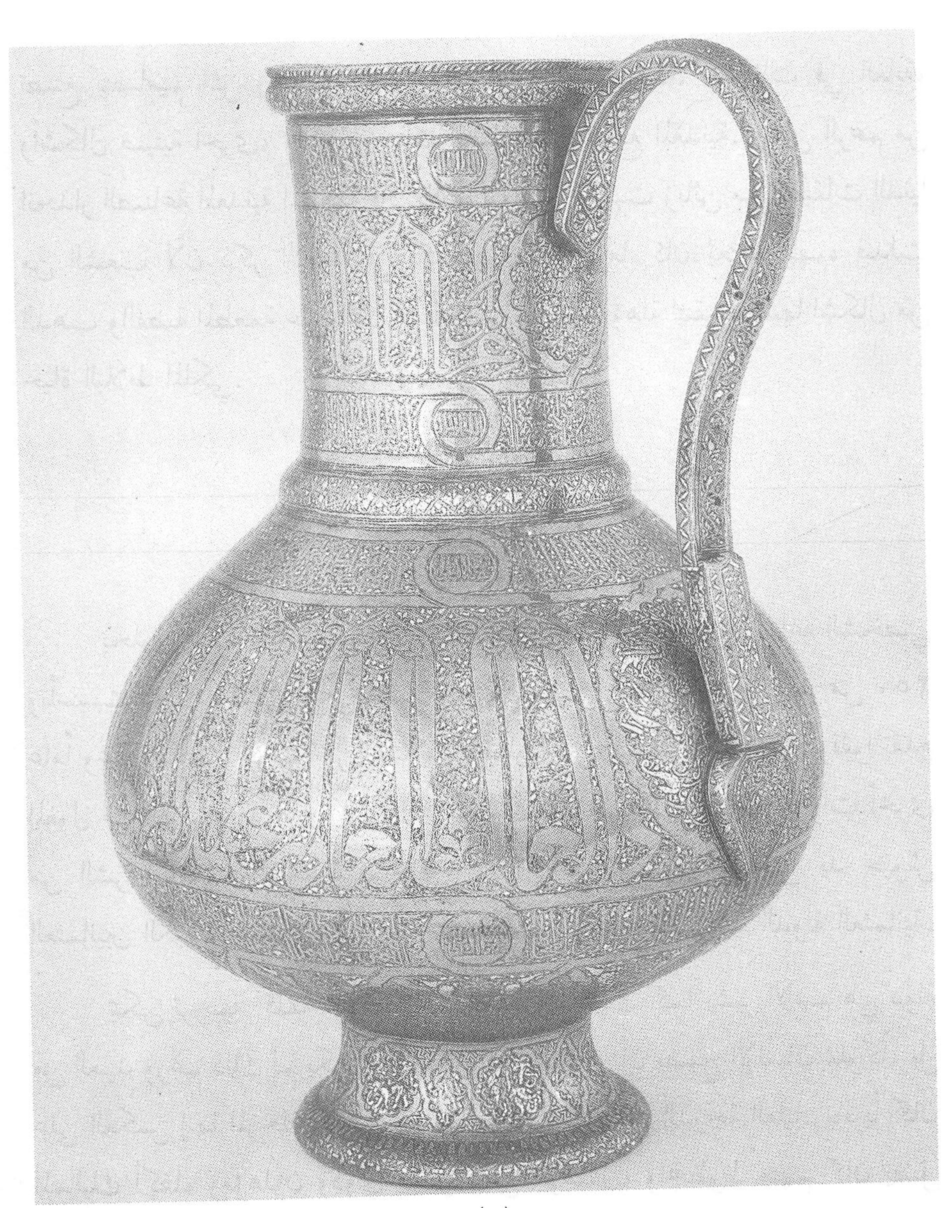
خصيصاً للسوق الإسلامية بعضها أشكال منسوخة والمنشأة بالنحاس، ورسوم المخطوطات، والبورسلين الى جانب الذهب والفضة للقصور (صورة ٨)، وكانت تقدر غالياً

تكاثرت السّلع المطليّة بالقصدير خلال القرن الخامس عشر (صورة ٨٣) قد عُممت بسبب تزايد توفر القصدير وتناقص سعره وقد أصبح يستورد من أوروبا من جديد. والطلاء بالقصدير ليس تقنية جديدة في الشرق الأوسط حتى ولو أنه لم يكن يتوفر في تلك المناطق. فمناجم كورنث كانت تزود الإمبراطورية الرومانية في الشرق بكميات كبيرة من القصدير والطلاء بالقصدير وكان سائداً بالنسبة لجميع أدوات الطبخ والمائدة قبل ايقاف التجارة في حوض البحر الأبيض المتوسط في القرن السابع والثامن أثناء الفتوحات الإسلامية.

ولابد أن القصدير كان يستعمل كغطاء واقٍ للأواني المصنوعة من خلائط النحاس المعدنية خلال الحكم الإسلامي أيضاً. والا لكان طعم الطعام سيئاً وساماً أيضاً وعلى كل حال يقول كُتاب العصور الوسطى أن القصدير كان يستورد فقط من جنوب غرب آسيا في ذلك الوقت وربما لهذا تضخم سعره وبالتالي تقلص استعماله في تصنيع الأواني العادية وتشجيع الزبائن على طلب المواد الأرخص مثل الفخار والزجاج. وارتفاع سعر المعدن ربما يكون السبب في أن الطلاء بالقصدير أصبح نادر جداً ولا يشاهد إلا قليلاً في الآثار المتبقية في تلك القصور وكان السبب في عدم استعمال خلائط النحاس في صنع السلع المطبخية.

وعندما توفر معدن القصدير، بدأ سوق الأواني المطبخية المصنوعة من النحاس والنحاس المعالج بالقصدير وخلائطه التي يمكن أن تحتوي على النحاس، الأباريق النحاسية على سبيل المثال (صورة ٨١) ما كان لها أن تصبح شائعة لولا توفر مادة القصدير لطلائها من الداخل حيث أن التفاعل الذي يحدث بين النحاس وأي سائل حمضي لا يمكن أن يحدث بدون أن يلاحظ.

يقدم النحاس المطلي بالقصدير أيضاً بديلاً عن الفضة وهو أسهل وأرخص وأكثر واقعية من النحاس المطعم فالزبادي والصحون والأباريق وأوانٍ أخرى كانت



صورة (٩٠) ص ١١٥

إبريق من النحاس المصفح منقوش ومطعم ببعض الفضة او الذهب. الكتابات الدقيقة تحتوي على القاب امراء وسلاطين غير معروفين وللحرف خطين مزدوجين وكانها صنعت بقصد التطعيم ولكن وبغض النظر عن النوعية الجيدة لهذا الابريق فلم يتم تطعيمه بالذهب والفضة إلا في مناطق متفرقة. ربما صنع الابريق خلال الجزء الاخير من القرن الرابع عشر. عندما كانت هناك قلاقل سياسية واقتصادية واجتماعية. وندرة المعادن الثمينة. تحتوي الدوائر الميداليات على تصاميم مبالغ بها مستوحاة ربما من المنسوجات الصينية.

الارتفاع ٢٨,٥ سم دمشق او القاهرة اواخر القرن الرابع عشر

تصنع بتصاميم مثل (صورة ٨٣) ومنها نوارة زهور ثقيلة، حيوانات في الغابة، وأشكال صينية أخرى، والتي زخرفت أيضاً بعض السلع المعدنية. وعلى الرغم من انحدار الصناعة المعدنية المطعمة فإن تلك الأواني اكتسبت زبائن من الطبقات الدنيا من الشعب لأن ذكر الأمراء في كتاباتها نادرة، وما كان يُعرَّف بهم، فبدلت الذهب والفضة المطعمة على تلك القطع التي لم تعد مؤهلة لتنقش عليها أشكال من حياة البلاط الملكي.

مصر وسورية

بحلول عام ١٢٥٠م سقط آخر السلاطين الأيوبيين على يد اتباعه الشخصي وتأسست دولة المماليك[١] في مصر. حكم المماليك مصر وسورية لأكثر من ٢٥٠ عاماً وعلى يدهم دحرت آخر الحملات الصليبية من المنطقة الإسلامية وأوقفوا تقدم المغول من الغرب. وبنجاح كبير دافع المماليك عن امبراطوريتهم من غزوات أخرى من الشرق والممثلة بتيمورلنك عام ١٤٠٠ ولم تستسلم إلا على يد جيوش العثمانيين الكبيرة. عام ١٥١٧ عندما سقطت سورية ومصر بيد الدولة العثمانية.

يمكن ترجمة كلمة مملوك؛ أي: العبد. والمماليك كما يشير الاسم هي دولة من العبيد ورغم ذلك لم يكن من الحقارة أو الانحدار أن يصبح الإنسان مملوكاً، بل على العكس إنها المرحلة الأولى من مراحل الوصول الى الدرجة العليا. نظرياً كان المماليك أكفاء ومؤهلون وذوي مقدرة على الوصول، والمحظوظ منهم كان يصل

---

(١) المماليك: هم عبيد أتراك وجراكسة ومغول، استعان بهم الأيوبيون للخدمة العسكرية، فتمكن بعض زعمائهم من الوصول إلى الحكم، وأسسوا في مصر سلالتي المماليك البحرية والبرجية.

البحريون: (١٢٥٣ - ١٣٨٢) اشتراهم الصالح نجم الدين أيوب. أولهم عز الدين ايبك وآخرهم قايتباي أشهرهم الملك الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون والأشرف خليل.

البرجيون: (١٣٨٢ - ١٥١٧)، من مماليك السلطان قلاوون، أولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم الأشرف طومان باي الذي أعدمه السلطان سليم العثماني.



صورة (٩١) ص ١١٥

زبدية للسكب من النحاس المسكوب المطعم بالفضة والدرع يوحي أن الزبدية صنعت بهدف التصدير الى أوروبا حتى ولو أنها تحوي على كتابات لالقاب مملوكية.

الطول ٢٣,٥ سم دمشق أواخر القرن الرابع عشر.



ش (٩٢) ص ١١٥

زبدية ومبخرة من النحاس المطعم بالفضة والذهب وهي خاصة للسوق الأوروبية في القرن الخامس عشر. وربما استعملت المبخرة لتدفئة اليدين في الدول الأوروبية ذات الطقس الأبرد، الزبدية: القطر ١٤ سم دمشق القرن الخامس عشر.

الى سدة الحكم ليصبح سلطاناً. وهكذا كان يستورد أولاد من أواسط آسيا ليصبحوا مماليك بشرط أن لا يكون لديهم عائلة أو أرض موروثة لهم تصرفهم عن الإخلاص لسيدهم الجديد، ومنزلتهم تكون مرهونة بمنزلتهم في الهرم المملوكي.

لنظام المماليك العديد من التأثيرات المميزة على صناعة المعادن والفنون الأخرى، لأن غنى الإمبراطورية تركز على يد المماليك، وكانوا الزبائن الأفضل وأفضل بكثير من عامة الشعب. بالإضافة فالتأكيد على المرتبة والمنزلة يعني ثم أن الألقاب وأوسمة المناصب (صورة ٨٤ - ٨٥) كانت تلعب دوراً هاماً ومتزايداً في عملية الزخرفة، فليس كافياً أن يملك الإنسان لوازم الرفاهية والغنى. بل هناك أهمية للمنزلة الاجتماعية. وكان على منزلة الفرد في المجتمع أن تتبدل.

وأعداد كبيرة من الأواني الفضية والذهبية والجواهر ولوازم الأحصنة. قيل أنها وجدت ضمن ذخيرة الجيش في القرن الرابع عشر فقد أغدق السلاطين على قوادهم المفضلين أحزمة من الذهب المرصع بالجواهر. كذلك أهدوا أدوات مكتبية مثل صندوق أقلام الأمين الأول وقدح لشرب الماء (صورة ٨٦). وبدون شك لم تكن أقل شأناً من زفزميات ماء السلطان العثماني من حيث الزخرفة (صورة ٥)

وقد بقي القليل جداً من الأشياء التي كانت تستعمل في بلاط الملك. ومصير ذلك الموروث من المعدن الغالي وصفه المؤرخ المملوكي المقريزي. وصف لهفة الناس وسعيهم المجنون للحصول على الذهب والفضة خلال القلق الاقتصادي الذي حصل في أواخر القرن الرابع عشر وكان الناس مستعدين لاقتلاعه من السلع النحاسية المطعمة (وهذا يفسر اختفاء تلك السّلع المطعمة).

إن عدم توفر الأواني الذهبية والفضية وكذلك كثرة الأواني النحاسية على الرغم من أن بعض الأواني النحاسية قد اختفت بسبب تطعيمها بالذهب أو بالفضة إذ كان ينزع منها المادة المطعمة وكذلك نوعية هذه السلع وعددها الذي صنع للسلطان والأمراء والقواد، توحي أن أعمال تطعيم المعادن أصبحت تنافس أعمال الصياغة منافسة حقيقية. وعمال النحاس المصفح استطاعوا انتاج أوانٍ مثل الأواني المصنوعة من المعدن الغالي مع زيادة استعمال الزنك (التوتياء) في خلائط النحاس



صورة ٩٣ ص ١١٧

صينية من النحاس المصفح المنقوش والمطعم بالفضة شكل هذه الصينية بارتفاعات مركزها لتحتوي إبريق أو كاس القربان) في أوروبا والدروع المتكررة توحي انها صنعت بشكل خاص لأوروبا وقد عرف عدد كبير من هذه الصواني وبنفس الزخارف تقريباً كذلك رسومات من طيور الرخ والزخارف الأخرى من زهور اللوتس كانت معروفة في ذلك الوقت وكانت تصدر إلى فيينا.

القطر ٥٥ سم. دمشق ١٤٠٠ م

أعطت تلك الخلائط لوناً ذهبياً والذي ذكره الكثير من معاصري ذلك الوقت ولكن في مناسبات معينة كان يفضل استعمال النحاس المطعم وذلك لقابليته على إظهار ألقاب المماليك بوضوح حيث أن الشعارات الأميرية كانت تختلف عن بعضها البعض باللون والتصميم.

أصبحت تقنية التطعيم معروفة بشكل جيد في دمشق خلال الحكم الأيوبي، ومنها انتشرت إلى القاهرة عاصمة دولة المماليك خلال النصف الثاني من القرن



صورة (٩٤) ص ١١٨
إبريق من النحاس المصفح منقوش ومطعم بشكل متفرق بالفضة صنع لزوجة السلطان (١٤٧٢ ـ ١٤٩٦)
والكتابة لم تطعم بل تم صقل النحاس ليعطي مظهراً ذهبياً.
الارتفاع ٤٧ سم القاهرة ١٤٧٢ ـ ١٤٩٦



صورة (٩٥) صندوق طعام (سفرطاس) من النحاس منقوش ومطلي بالقصدير ويحتوي على ثلاثة ادوار الواحدة فوق الأخرى وغطاء زبدية طعام وهو غطاء في نفس الوقت وهناك مقابض لأحكام إغلاق الصندوق (عند الضرورة) تسميم الطعام هي الطريقة المثلى للماليك في التخلص من اعدائهم. يحتوي جدران الصندوق على اشعار مألوفة على الأشياء المعدنية المملوكية في ذلك الوقت.

الارتفاع ١٨,٤ سم دمشق القرن الخامس عشر.

الثالث، وذلك استجابة لطلبات القصر المملوكي الذي استقر هناك. وبقيت دمشق والقاهرة مركزان مهمان من مراكز صناعة تطعيم المعادن، إلا أنه من الصعب التمييز ما بين الانتاج السوري والمصري في ذلك الوقت.

أما تقنيات التصنيع والأشكال والمواد التي كانت تنتج منها القطع المعدنية خلال العصر المملوكي فقد كانت، وبقليل من الاستثناءات، هي نفسها أيام الحكم الأيوبي، فالشمعدانات كانت تصنع بشكل خاص وبكميات كبيرة (٨٦-١٤) فمن المراسم التي كانت سائدة في القصر المملوكي أن يحمل كل أمير شمعداناً في موكب ملكي وربما لهذا كانت تصنع تلك الكميات الكبيرة. وكانت تزخرف بزخارف ورقية وطلاء ذهبي وربما كانت غالية.

التغيرات الكبيرة التي حدثت في صناعة المعدن المملوكية، لم تكن في شكل أو تقنية الشيء المنتج، وإنما في أسلوب الزخرفة المطعمة. ففي النصف الثاني من القرن الثالث عشر كان تأثير الصناعة المعدنية الموصلية مازال ظاهراً، فقد كان سطح القطعة يقسم الى أفاريز ودوائر، ومن زخارف قليلة وعلى درجات. أما الكتابات فتتضمن التباريك، ولكن الزخرفة الرئيسة كانت غالباً ما تكون شكلية للأقمار والأبراج.

مع نهاية القرن الثالث عشر بدأ طالبو الأعمال وهم من المماليك يظهرون أذواقهم بشكل واضح وقد بدأت الأعمال تتضمن شعار الأمراء (الرنك) وعبارات التمجيد بالإضافة الى الألقاب الأميرية (صورة ٨٧) تمثل المبخرة التي صنعت لأحد القواد الأمراء في بداية العصر المملوكي تتضمن:

«صنع لصاحب السلطة العالي السيادة الأمير العظيم، القائد الفذ، المحارب الكبير، حامي الحمى، المقوى بالله. المنتصر بدر الدين الظاهري (ضابط السلطان بيبرس ١٢٦٠ - ١٢٧٧ السعيدي (ضابط السلطان بركة خان) ١٢٧٧ - ١٢٧٩)»
كما تضمنت الأشكال المفضلة من رقش وعصافير طائرة وأشكال آدمية، حتى أن الرموز الفلكية أصبحت نادرة بسبب ازدياد الحساسية الدينية، مثلاً. فالقواعد



صورة (٩٦) ص ١٢١

طاووس من الفولاذ منقوش بمشاهد اشخاص وكتابات مع بعض الزخارف المطلية بالذهب. عينا الطائر مصنوعة من حجر الزمردة والإمام علي رابع الخلفاء الراشدين والامام وولداه الحسن والحسين مرسومون في الدائرة المركزية للذيل المفروش.

الارتفاع ٨٩ سم إيران القرن التاسع عشر.

الداخلية لحوض كبير بعد أن كانت تزخرف بالكواكب والأبراج أصبحت الآن تزخرف بالأسماك الدائرة.

خلال القرن الرابع عشر أصبحت الميول الفردية للأمراء المماليك أكثر ظهوراً على الأعمال المعدنية التي كانوا يأمرون بصنعها (صورة ٨٩)، فقد أصبحت ألقاب أولئك الأمراء أكبر وأوضح ومطعمة بمساحات واسعة بصفائح فضية، وهكذا لا تضيع رسالتهم أبداً. كما بدأت الكتابات الشعاعية تظهر في دوائر تحيط بشعار (رنك) صاحب القطعة وكأنها أشعة تشع من الشمس (صورة ٨٥ - ٨٨) ربما لاحداث تأثير مرئي مقصود وقد أجبر صانع المعدن على أن يحشر أفكاره الأخرى الى جانب الشعار، ما في أجزاء صغيرة من الفراغ. كما أدخلت الأفاريز المتضمنة لازهار اللوتس وأوفانيا الى التصميم، مما يوحي بتأثير التصاميم الصينية والتي كانت أيضاً سائدة في إيران في ذلك الوقت.

الجزء التالي من القرن الرابع عشر كانت فترة هائمة مائجة بالنسبة للمماليك، فثمة لعدم الاستقرار السياسي والحروب الأهلية وسلسلة من الكوارث مما أدى إلى انخفاض شديد في الزبائن المماليك واستمرت هذه الفترة خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر (صورة ٩٠). كانت الأوبئة التي قضت على بعض الصناع وبعض طالبي الأعمال أيضاً، كذلك تأثرت صناعة المعادن بشح في المعادن من النحاس والفضة والتي أثرت بالتالي على سعر أعمال التطعيم أكثر فأكثر. يصف المقريزي سوق المعادن المطعمة في القاهرة عام ١٤٣٠ ويقول: «في وقتنا هذا أصبح استعمال النحاس المطعم قليلاً، ومن النادر وجوده». ومن ضمن الموجودات التي عثر عليها في سفينة غارقة على الشواطىء السورية (موجودة الآن في متحف في القدس - هناك مجموعة من النقود النحاسية والأواني وأشياء أخرى. والنقود التي صكت جميعها في سورية قبل سنة ١٤٠٤ توحي أن السفينة قد غرقت حوالى ١٤٠٤، وأن السلع المعدنية قد صنعت في سورية خلال الجزء الأخير من القرن الرابع عشر. ربما كانت السفينة متجهة الى القاهرة التي كانت تطلب دائماً النحاس من سورية

عندما يكون هناك نقص من هذه المادة في مصر، ولم يعثر على نقود ذهبية أو فضية، والأواني النحاسية كانت منقوشة وواحدة فقط مطعمة.

توحي الأواني النحاسية المطعمة التي تعود الى ذلك الوقت أن الصناعات المعدنية اتجهت الى الأسواق الأوروبية (صورة ٩١-١٧) إذ حلت الدروع المدبية الأوروبية بدل الرنوك المملوكية المدورة على العديد من القطع (صورة ٩٢-٩٣)، وهي تظهر بوضوح اتجاهها الجديدة أما إعجاب الأوروبيين بالأعمال المعدنية المطعمة فقد تحدث عنه سيمون سيغولي، عندما زار أسواق دمشق عام ١٣٨٤-١٣٨٥ يقول: «وهنا أيضاً تصنع أعداد كبيرة من الأواني النحاسية وهي تظهر حقاً وكأنها من الذهب وعلى هذه الأواني تنقش الأشكال والتصاميم وأعمال معدنية أخرى بالفضة، إنها أشياء جميلة تستحق أن تشاهد» ومن ناحية ثانية يعبر عن إعجابه بالتجارة يقول:

«حقاً لو كنت تخبىء نقوداً داخل عظام رجلك لكسرت رجلك لتشتري هذه الأشياء بدون شك».

ففي منتصف القرن الرابع عشر كانت الصناعات المعدنية تنسخ خصيصاً لتصديرها الى أوروبا، مثلها: حوض كبير موجود في متحف اللوفر بفرنسا. صنع لهوغ الرابع أوف لو سينغان ملك قبرص (١٣٢٤ - ١٣٥٩). وآخر في متحف رييكس في امستردام. ويحمل أسلحة اليزابيت أوف هابسبورغ كارينثيا زوجة بيتر الثاني أوف صقيليا (١٣٣٧ - ١٣٤٢) وكانت تلك طلبات خاصة وعليها يكتب الاسم بالعربية أو اللاتينية فيما بعد. وفي نفس القرن الرابع عشر ومع تزايد التجارة مع أوروبا لم تعد تحمل الأواني المعدنية أية ألقاب شخصية وأصبحت الدروع الأوروبية أصبحت تترك فارغة بدون كلمات لتملأ في حال تم شرائها من أحد ما.

في البداية كان الصناع يقومون بتصنيع أوانٍ معدنية تحمل الصفات التي اعتادوا عليها حسب أوامر السلاطين المماليك. إن زبدية السكب هذا النوع الذي كان سائداً أو يطلبه الأمراء المماليك منذ أوائل القرن الرابع عشر (صورة ٩١) وهو مثال عن المرحلة الانتقالية حيث أبقى الصناع على الألقاب السلطانية المعتادة. هذه

الألقاب بالطبع لم تعد مناسبة لزبون غير مملوكي وبالتدريج بدأت تحل محلها كلمة واحدة المماليك. بعد ذلك أخذت تتردد بطريقة آلية على الكثير من الأواني مجرد حروف زخرفية بتصاميم نباتية أو متشابكة (صورة ٩٢).

وبدأ السوق الجديد يتطلب نوعية أخرى من الأواني المعدنية وقد عاد التجار (تجار البندقية) الذين كانوا يسيطرون على تجارة البحر الأبيض المتوسط إلى ورش الأعمال المعدنية، يطلبون أشياء جديدة محددة يمكن أن تباع في أوروبا. والعديد من الأنواع كانت تصنع للمرة الأولى خلال الجزء الأخير من القرن الرابع عشر والخامس عشر. معظمها يحمل الدروع الأوروبية وزبادي نصف كروية بأغطية مسطحة وشمعدانات صغيرة (صورة ١٧) ومباخر كروية (صورة ٩٢) وصواني (صورة ٩٣)

وثمة إحياء للنحاس المملوكي المطعم ثمخلال فترة حكم قايتباي الطويلة (١٤٦٨ - ١٤٩٦) وبعض القطع المنتجة للسلطان كانت دقيقة جداً. ومطعمة بكميات كبيرة من الذهب والفضة رغم ذلك يبدو أن تلك القطع النفيسة صنعت بكميات قليلة فقط للقصر الموجود في القاهرة (صورة ٩٤). كما كانت هناك أوانٍ أخرى صنعت للسلطان ولعائلته، اقتصرت على الأعمال المطعمة ومن النادر أن لا تضم أي من الأشياء الملكية مثل هذه الأواني.

كما كان لزبائن الصناعات المعدنية في إيران من رغبة في طلاء الأواني بالقصدير خلال القرن الخامس عشر كذلك رغب المماليك بهذا التقليد الرخيص للأواني الفضية والنحاس المطعم والتي لم يكن بإمكانهم الحصول على مثلها (صورة ٩٥) ومعظم الأواني المطلية بالقصدير هي صناديق الغذاء؛ الصحون والأطباق الكبيرة وأواني المائدة الأخرى. ومثل زملائهم الايرانيين، فإن صناع المعادن المماليك قدروا الغطاء الواقي الذي يقدمه القصدير، وتتضمن الزخارف المنقوشة على هذه الأواني ألقاب أميرية وشعارات وبعضها يحمل أسماء أمراء في مصر أو سورية، بينما هناك أسلوب خاص للمجموعة التي كانت من نوعية أدنى من ناحية المادة والتنفيذ وربما صنعت بعيداً عن القصر في دمشق.

الصناعات المعدنية المطعمة التي تعود الى القرن الرابع عشر لا يعني عليها في إيصال الرسائل بوضوح وبفعالية. أساس الصناعة المعدنية الإسلامية لم تتمكن من استعادة ذلك الحس أبداً من الهدف أو التأثير المرئي فقطع المعادن التي تعود إلى القرن الخامس عشر بتصاميمها المتشابكة التي تعود إلى القرن الخامس عشر بتصاميمها المتشابكة والأسلاك المعدنية الرفيعة المطعمة في النحاس وتشهد على اقتصار البراعة الفنية على التصميم والجهد.

إن انحدار تقنية التطعيم جعل عام ١٥٠٠ م عاماً مناسباً لإنهاء هذا التاريخ القصير من الصناعة المعدنية الإسلامية والقرن السادس عشر شهد ظهور ثلاث امبراطوريات: العثمانية والصفوية والمغول، التي ستسيطر على العالم الإسلامي في العهد الحديث، وازدياد التجارة عبر الكرة الأرضية شجع على استعمال مواد غريبة مستوردة وأوانِ القصور. ومنذ ذلك الوقت اقتصرت أوامر الملوك على تصنيع الأعمال المعدنية الذهبية والمرصعة بالجواهر والكريستال الصخري، ومواد قيمة أخرى، مازالت ماثلة إلى يومنا هذا في قصر طوب كاي في استانبول (صورة ٥)

إلا أن تطعيم النحاس لم يختفِ تماماً في الواقع لقد تم احياؤه في القاهرة ودمشق في القرن التاسع عشر وأصبحت التقنية مقتصرة على استعمال الأشياء الفولاذية والسيوف المغولية وقد ظهرت بدائل جديدة للذهب والفضة وهي النحاس البراق أو النحاس المطلي بالقصدير، وبدأ يجذب أولئك غير القادرين على شراء المعادن الغالية، أو لتصنيع الأشياء التي لا يناسبها الذهب والفضة، ولكن لا نستطيع أن تقول عن المنتجات الجديدة أنها مطلوبة للمناسبات والمراسم، بعد ثلاثمائة عام من النجاح غير العادي والطلب المتزايد من الطبقات الرفيعة عادت النحاس والمعادن الأخرى إلى مكانها الأول في سُلَّم المعادن وذلك لاستعمالها في انتاج أشياء عملية بسيطة ولتقليدها الصناعات المعدنية النفيسة.

فهرس المحتويات

نماذج من الأعمال المعدنية الإسلامية







الصورة (١٠) فاسو فاسكوفالي من البرونز مزخرف بأشكال معقدة من الأبراج ومطعم بالفضة. اثنا عشر دائرة حول الزبدية تحوي كل دائرة تمثيل لكوكب مع اشارة من البرج ويمثل منزله الليلي والنهاري في السماء. على سبيل المثال الشكل الذي يمثل المياه من البنر. يرمز إلى كوكب زحل في منزله الليلي وهناك شكل يركب كبشاً ويمثل كوكب المريخ في منزله الليلي وهو برج الحمل، اما غطاء الاناء فيحمل اشكالاً عن الكواكب فقط (إنظر شكل «٥٧»).

الارتفاع ٢١,٥ سم خراسان ١٢٠٠ م

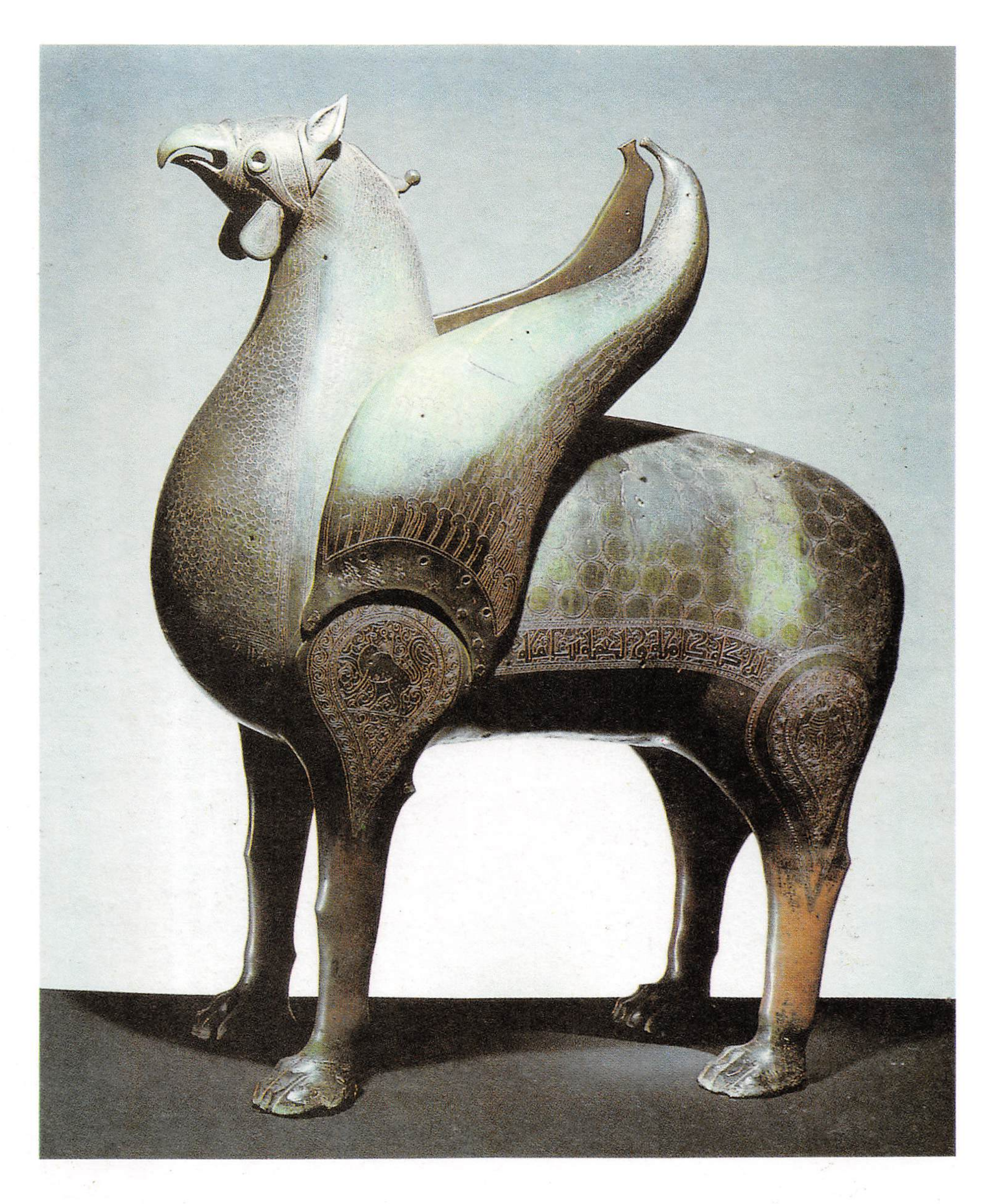


إبريق على شكل بقرة ترضع عجلها الصغير واسد تشبث بظهرها. وهو من النحاس المسكوب نقش عليه مشاهد ومخطوطات طعمت بالفضة. هذه القطعة النادرة والغريبة سكبت قطعة واحدة وربما صنعت بطريقة الشمع المزال او المذاب. والكلمات التي خطت على راسها ورقبتها (أي إلبقرة) تؤكد اهمية هذا الانجاز وفيها؛ هذه البقرة والعجل والأسد كلها سكبت بأمر من زوربا ابن افريدون ابن بورزين. تبارك مالكه شاه بورزين ابن افريدون ابن بورزين. عمل علي بن محمد بن ابي القاسم المزخرفة في محرم ٦٠٣»
(آب ١٢٠٦ م)

الارتفاع ٣٥ سم. إيران ١٢٠٦ .

أنظر صفحة ٣٥

أنظر صفحة ٣٦



الغريفن (الحيوان الخرافي) من بيزا Pisa. حيوان خرافي. سكب من النحاس على اربع قطع. الذيل والجناحين (مفقودة) ومثبتة ببرشام معدني ومنقوشة بالتباريك وبالخط الكوفي وتصاميم اخرى. قضى هذا الحيوان أكثر من اربع قرون واقفاً في كتدرائية بيزا يُعتقد انه صنع في إيران او صقيلية او شمال افريقيا او مصر أو اسبانيا. ومنشاه بقي الى الآن مجهولاً.

الارتفاع ١,٧ سم مصر. اسبانيا (؟)

القرن الحادي عشر.



تفصيل لابريق من صفائح النحاس طعم بالفضة والنحاس الخام. انظر الشكل (٥٦) النحت البارز والزخارف المطعمة يحولان مادة المعدن الأساسية الى آنية فاخرة براقة، اما صناعة الببغاوات الصغيرة فتظهر مهارة خاصة ولا بد انها صنعت من داخل الابريق مستعملين قطع حديدية مسخة. وتحتوي الزخارف المطعمة على شكل دوائر اشكال الكواكب كل واحدة ترمز إلى برج ممثلاً بمنزله النهاري والليلي. في التفصيل يبدو العمل في السرطان وعطارد وفي الجوزاء. حيث الرؤوس الآدمية تتشابك مع التباريك.

هيرات ١١٨٠ - ١٢٠٠

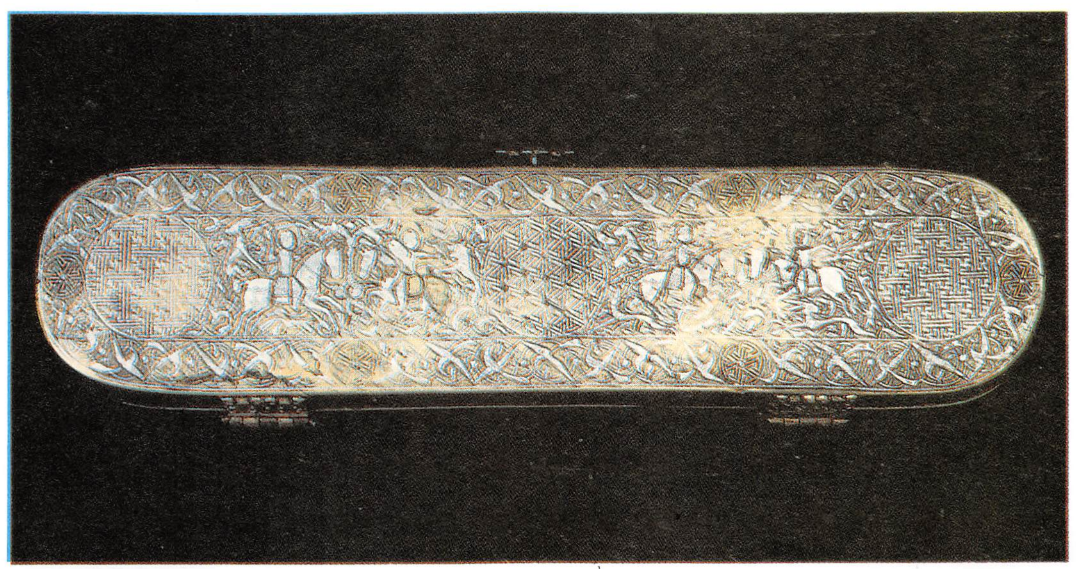


إبريق ببزبوز مرتفع للماء. صنع من صفائح النحاس بزخارف بارزة ومطعم بالفضة. (انظر التفصيل شكل (٥٢) التباريك والخطوط المعقدة والتصوير الفلكي مع تداخل الرموز الفلكية للكواكب والأبراج تظهر بوضوح مكانه صانع الابريق ومالكه تماماً كما تظهر واضحة على الابريق المشابه له والموجود في متحف تفليس. انظر (صورة ٧٧)
الارتفاع ٤٠ سم هيرات ١١٨٠ ـ ١٢٠٠



أنظر صفحة ٩٨

أنظر صفحة ٩٩



أنظر صفحة ١٠٨



مبخرة كروية مثقبة نقشت وطعمت بالفضة وخاص الكتابات (انظر إلى ش ٨٨) وتتضمن اسم ولقب امير مملوكي مهم هو بدر الدين بايساري الذي مات في السجن عام ١٢٩٨ القاعدة اللفافة.



أنظر صفحة ١٢٩



أنظر صفحة ١١٧

أنظر صفحة ١١٨



أنظر صفحة ١١٠



صينية من النحاس المطعم بالفضة والذهب ربما صنعت على يد صانع من الموصل واخذت الى قصر الإنحانيين في تبريز.
القطر ٤٦,٣ سم غرب إيران (؟) اواخر القرن الثالث عشر